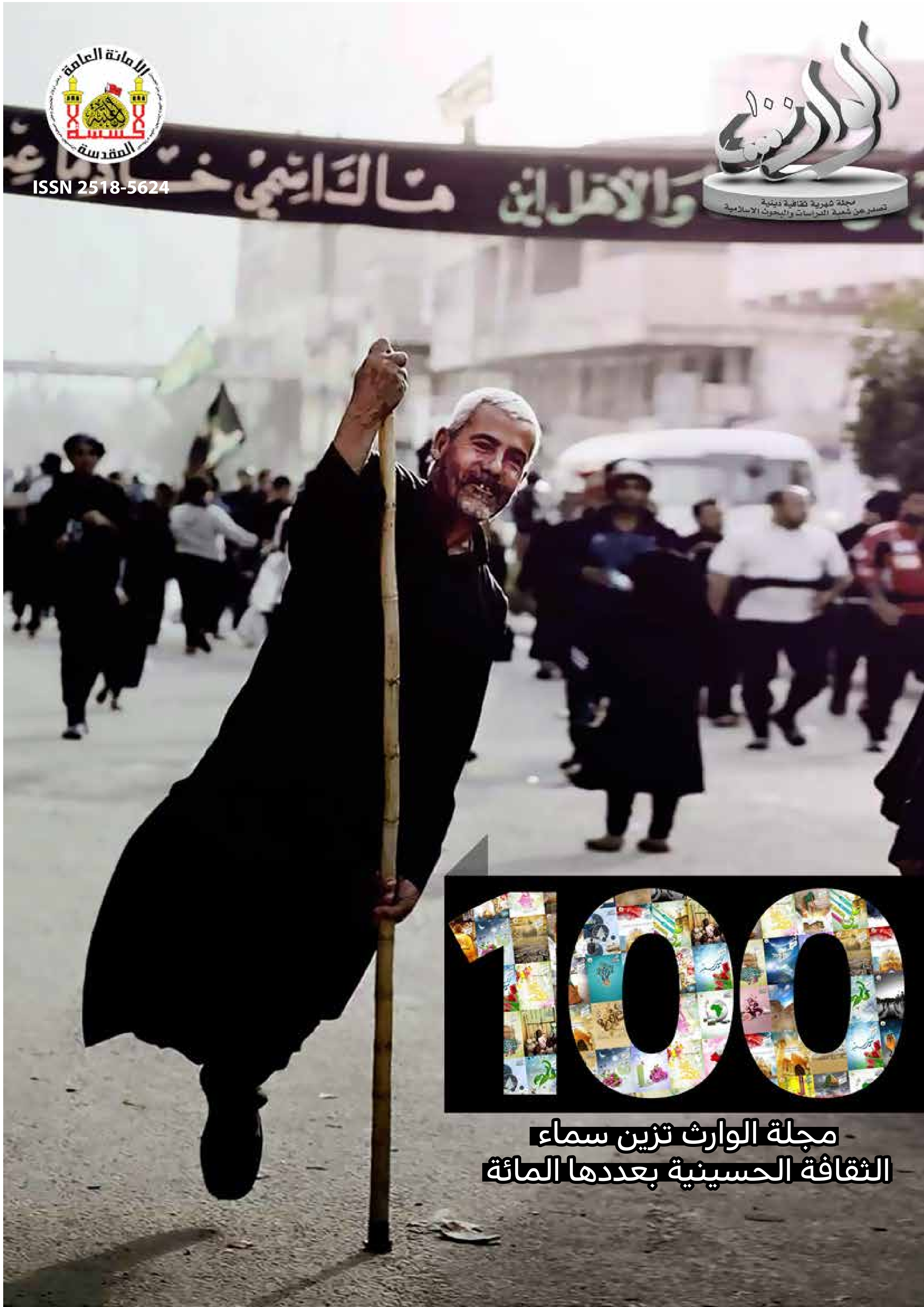

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

ISSN 2518-5624

الوارث

مجلة شهرية ثقافية دينية
تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

100

مجلة الوارث تزين سماء الثقافة الحسينية بعددها المائة

صفر ١٤٣٩هـ

تشرين الثاني٢٠١٧م

الإشراف العام/رئيس التحرير

الشيخ علي الفتلاوي

سكرتير التحرير

محمد رزاق صالح

هيأة التحرير

صفوان ضياء جمال الدين

محمد فاضل الزبيدي

أحمد محسن المؤذن

حسين عدنان رضيوي

التدقيق اللغوي

ضياء قاسم عبدالعال

التصميم والاخراج الفني

علي طالب ماميثة

إصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق -وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩-١٢١١

هاتف:٣٢٦٤٩٩-بدالة:٣٢١٧٧٦-داخلي:٢٤٢

موقع العتبة

www.imamhussain.org

موقع القسم

www.imamhussain-lib.org

بريد القسم

info@imamhussain-lib.org

٤	بطل ينصر بطلاً
٧	ألا يا أهل العالم إنّ جدي الحسين عليه السلام قتلوه عطشاناً
١٠	تضاعف درجات المؤمنين بولاية أهل البيت عليهم السلام
١٤	السرّ في عاشوراء..بين العلم والجهل
١٨	الغريب مسلم بن عقيل
٢٢	ظاهرة تفشي الإلحاد في المجتمعات الإسلامية الأسباب والعلاج
٢٦	وجود الخالق أصلح من وجود الطبيعة
٢٩	سورة الحمد وعظمتها
٣٠	مفهوم إطاعة السلطان الجائر.. التزوير والتحريف
٣٥	لولا أهل البيت عليهم السلام ما عُبد الله تعالى
٣٨	لماذا لم يلطم النبي صلى الله عليه وآله ولا علي عليه السلام؟
٤٠	لماذا نبكي على الحسين عليه السلام؟
٤٦	أين الحسين وقتلى من بني حسن
٤٨	الشعائر الحسينية في الثقافة المهدوية
٥١	المفضل التلميذ المفضل لأهل البيت عليهم السلام
٥٥	حديث الشهر

١٠٠ معلومة

طالمـــا تعامل الأُدبـــاء والفنانون وأهل العلوم البشـــرية مع الرقـــم (١٠٠) كأنه علامـــة تدل على كثـــرة العطـــاء وتقديم الخدمـــات، فتارة تعلـــن مدينة باريس مـــرور (١٠٠عام) علـــى عدم انطفـــاء التيـــار الكهربائـــي فيها، وأخـــرى يعلن عن أن الممثـــل الفلانـــي بلـــغ من العمـــر (١٠٠عام) أو أنّ الإنســـان إذا بلـــغ (١٠٠عام) صـــار مـــن المعرمين وغيـــر ذلك مـــن الاهتمـــام بالرقـــم (١٠٠) ونحـــن كذلك نســـتطيع أن نقول للقـــارئ الكريم إنّنا بلغنـــا الرقم (١٠٠) في تقديـــم المعلومة الضروريـــة في الثقافـــة الدينية، بذلنـــا الكثر مـــن الجهود وأعطينـــا الكثير من الوقـــت للبحـــث عـــن المعلومـــة الدينية التـــي يحتاجهـــا القـــارئ الكريم في مختلـــف العلـــوم الإلهيـــة، فهنـــاك من يحـــرر فـــي العقائد وآخر فـــي الأخلاق وثالـــث في الثقافة الحســـينية ورابع في رد الشـــبهات، وهناك مـــن يخرج هذه المجلـــة على ما هـــي عليه من حلّـــة جميلة، وهنـــاك من يصمـــم، وهناك من يدقـــق التدقيـــق العلمـــي، والتدقيـــق اللغوي لكي تصـــل هذه المجلـــة إلى ما يجـــب أن تكون عليـــه، إلا أنّنـــا لا ندعي العصمـــة لأنها صفـــة المعصوم فقط إذ لا معصـــوم إلا المعصـــوم، ولكـــن نســـتطيع القول إنّنـــا شـــاركنا الكثير من قنـــوات المعرفة فـــي رفد الســـاحة الإســـلامية في العـــراق بالثقافـــة الدينية والحســـينية على وجـــه الخصوص، وتلقينا الشـــكر والتقدير مـــن بعض القراء، والنقـــد البناء مـــن البعض الآخـــر، ونحن ماضون فـــي تقديم ما بدأنـــا به، كما أنّنـــا ندعو مـــن له الرغبـــة والقدرة على المشـــاركة فـــي ذلك. ســـائلين المولى عز وجـــل أن يســـدد جميع الأقلام التـــي تدفع الجهـــل ورد الشـــبهات وتغرس المعرفـــة بما يخـــدم الدين الإســـلامي الحنيف.

المشرف العام

بطل ينصر بطلاً

هنـــاك أنـــاس يرتـــدّون الأكفـــان البيضاء مصبوغـــة بدمـــاء الذبيح.

لم أتلـــقَ أيّ رد ولا اعتـــراض ولا أيّ نقاش حـــول ما طرحته فـــي موضوع (بطـــل ينصر بطلاً فيســـقطان معاً).

والذي يـــدور حـــول رؤيـــة توراتيـــة قديمة لنبـــوءة أيقظتها من ســـباتها الذي اســـتمر أكثر مـــن أربعة آلاف ســـنة.

فكلّ مـــا وردنـــي هو عتـــب عبّر عنـــه أحد الآبـــاء بأنـــه: (هتـــك لخصوصيـــة النصوص المقدســـة سيُحاســـبني الرب عليه وســـأنال جزائي فـــي يـــوم الدينونة حيث لا يشـــفع لي الرب يســـوع).

في بحث بطلاً ينصر بطلاً صححت أشـــياء لحقهـــا تحريف مروّع أشـــرت إلـــى مواضعه وأوردت أقـــوال كبـــار القساوســـة الذي جانب الحقيقـــة وســـار على أثـــر الماضيـــن ممن شـــطّ به القلـــم فكتب ما كتـــب متحملاً جزاء ما وضعـــه للناس مـــن أباطيل.

فـــي هـــذه الحلقة ســـوف أســـلّط الضوء علـــى نص شـــدّني بقـــوة ودفعنـــي للتمعن فيـــه بإلحـــاح غريـــب وهـــو فـــي نفـــس الســـفر الذي وجـــدت فيه نبوءة (الحســـين والعبـــاس) أولاد القديـــس علـــي بـــن أبـــي

طالــب عليــه مراضــي الرب.

لا يــزول عجبــي وأنا فــي كل يوم أجــد نصوصاً تــم إخفاؤها بعنايــة بالغة بين الســطور وكل هذه النصوص تتعلق بمقدســين على درجــة كبيرة من الأهمية أولتهم الســماء عنايتها حتــى يخال إليك كأن هــذه الكتب إنمــا نزلت فقط علــى ذكرهم وما دونهم مــن العالمين هباء.

الذي أثــار عجبــي هــو أنّ الكتــاب المقدس لم يُشــر فقط إلى هؤلاء المقدســين بل شــمل أيضاً أتباعهم وشــيعتهم ومواليهم، بحيــث إنّ وصفهم ينطبــق علــى كثير من الحــالات التي نراهــا يومياً أمامنــا فهــل يــا تــرى أن الملابس البيــض التي يرتدونها أمــام اللــه والذبيح هي نفــس الملابس المضمخــة بالــدم والتــي ترمــز إمّــا إلــى أكفان (المطبريــن) أو أنّهــا ترمز إلــى كثرة القتــل الذي اســتحر بشــيعة هؤلاء المقدســين بحيــث كانت أكفــان قتلاهــم أكثر مــن كل موتــى أعدائهم.

والملاحــظ أنّــه كلما اقتــرب زمــن نهاية الأحــداث ولــع الشــيعة بلبــس الأكفــان.

طبعــاً هــي أشــياء محيّــرة جــداً وتحتاج إلى بحــث وتدقيــق للوصول إلى أســلم التفاســير وهذا مــا فعلته حيــث إنّي ومنــذ أيــام أعالــج بهــذا الموضوع ومــن مصادر كثيــرة اضطــررت فيهــا أنْ أرجــع إلــى النصوص الأصلية التي ليــس لها علاقة بالترجمــات الحالية البعيــدة كل البعــد عــن النــص الأصلي.

الحسين والعباس عليهما السلام في نص يوحنا

فــي بدايــة ســفر رؤيــا يوحنــا ورد نــص غريب شــرحنا نصفه في البحث الســابق واليــوم بعد أن اتضحــت الصــورة وبانــت معالمها نضع الشــرح الثانــي الــذي أخذته مــن النــص العبري مــع أنّ الكثير منه موجــود في الطبعــة العربية ووضعت توضيحــي عليه بيــن خطين.

يقــول يوحنا في رؤيــاه: (هــذان همــا المنارتان القائمتــان أمــام رب الأرض. وإنْ كان أحــد يريــد أن يؤذيهما، تخــرج نار مــن فمهما وتــأكل أعداءهما. وإن كان أحــد يريد أن يؤذيهما، فهكــذا لابد أنه يقتل.

أين أعداؤهم مــن الأولين والآخريــن. هذان لهما الســلطان أن يغلقا الســماء ولهما ســلطان على الميــاه أن يحولاهــا إلى دم - لربما إشــارة إلى مطر الســماء دماً - ومتــى تمما شــهادتهما، فالوحش الصاعد مــن الهاوية - يزيد - ســيصنع معهما حرباً ويغلبهمــا ويقتلهما. - الحســين وأخــوه العباس -. وتكــون جثتاهما على شــارع المدينــة العظيمة - الكوفــة - وينظــر أنــاس من الشــعوب والقبائل والألســنة والأمم جثتيهمــا ثلاثة أيــام ونصفاً، ولا يدعــون جثتيهمــا توضعان فــي قبور. ويشــمت بهما الســاكنون على الأرض ويتهللون، ويرســلون هدايــا بعضهــم لبعض.

> **وبقيت هذه الأجساد ثلاث أيام تسفي عليها الرياح بلا كفن ولا دفن ولكن في النهاية صعد هذا الشهيدان إلى السماء**

- فــي إشــارة لربمــا إلى أهل الشــام وفلســطين الذيــن اســتهلوا وأهلوا فرحــاً وإلــى هــذا اليوم - وســمعوا صوتــاً عظيماً مــن الســماء قائــلاً لهمــا: اصعدا إلــى ههنا. فصعــدا إلــى الســماء فــي الســحابة، ونظرهما أعداؤهمــا. وغضبت الأمــم، فأتى غضبــك وزمان الأمــوات ليدانــوا، ولتعطى الأجرة لعبيــدك الأنبياء والقديســين والخائفين اســمك، الصغــار والكبار، وليهلــك الذيــن كانوا يهلكــون الأرض).(ســفر رؤيا يوحنــا اللاهوتــي١١: ٨.فما)

إلــى هنا انتهــت المعركــة الواقعة على شــارع المدينة العظيمــة (الكوفة) وبقيت هذه الأجســاد ثلاثــة أيام تســفي عليهــا الرياح بلا كفــن ولا دفن ولكــن فــي النهايــة صعد هــذان الشــهيدان إلى

السماء حيث محكمة الرب الكبرى في انتظار من يأتي من المجرمين.

وهناك في السماء حيث الملكوت الأعلى وحيث الجالس على العرش الذي لا يظلم عنده أحد تحدث يوحنا عن الفصل الثاني من روايته المأساوية المحزنة عن هذين البطلين الشهيدين العظيمين فقال إنّ هناك عدداً لا يُحصى من الأُمم يرتدون الملابس البيضاء وهي ملطخة بالدم، والملائكة تحمل أختاماً تختمهم على جباههم في نصٍ درامي ومشهد رهيب قد لا تفي الكلمات للتعبير عنه .

يقول يوحنا: (رأيت ملاكاً طالعاً من مشرق الشمس معه ختم الله الحي، فنادى بصوت عظيم إلى الملائكة الأربعة، الذين أعطوا أن يضروا الأرض والبحر، قائلا: لا تضروا الأرض ولا البحر ولا الأشجار، حتى نختم عبيد إلهنا على جباههم. بعد هذا نظرت وإذا جمع كثير لم يستطع أحد أن يعده، من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة، واقفون أمام العرش وأمام الخروف (الذبيح) متسربلين بثياب بيض وفي أيديهم سعف النخل وأجاب واحد من الشيوخ قائلاً لي: هؤلاء المتسربلون بالثياب البيض، من هم؟ ومن أين أتوا؟ فقلت له: يا سيد، أنت تعلم. فقال لي: هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة، وقد غسلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم في دم الخروف (الذبيح). من أجل ذلك هم أمام عرش الله، ويخدمونه (نهاراً وليلاً) في هيكله، والجالس على العرش يحل فوقهم. لن يجوعوا بعد، ولن يعطشوا بعد، ولا تقع عليهم الشمس ولا شيء من الحر، لأن الخروف (الذبيح) الذي في وسط العرش يرعاهم، ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية، ويمسح الله كل دمعة من عيونهم).(سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي٧: ١)

انتهى النص ولكن النص العربي بعيد كل البعد عن النص العبري الذي لم يذكر كلمة (الخروف) بل يضع مكانها (الذبيح) وإن كانت كلمة الخروف تعطي التصور نفسه لحالة الذبيح، ولكن الذي ترجم هذا النص وضع كلمة الخروف عامداً متعمداً لكي ينسحب النص على يسوع المسيح ولكن هذا يدل على جهل فاضح حيث إنّ يسوع لم يكن مذبوحاً حسب رواية الإنجيل بل كان مصلوباً. (فأجاب الملاك وقال للمرأتين : إني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب). (إنجيل متى ٢٨: ٥)

ويدلنا هذا على أنّ النص فيه تزوير وأنّه ليس نصاً سماوياً بل سماوي اختلط برغبة بشرية غايتها تحقيق أهداف من وراء هذا التحريف هو قول كاتب النص: (من أجل ذلك هم أمام عرش الله، ويخدمونه (نهاراً وليلاً) في هيكله).

ففي هذا النص كشف كاتب السفر عن نفسه من خلال تأثره بالأجواء الأرضية المحيطة به (ليل ونهار) فنسي وذكرها كأنّه يتكلم عن ملك من ملوك الدنيا، لأنه لا يوجد في السماء ليل ولا نهار، لا يوجد سوى نور واحد هو نور الرب وحده.

بقلم: إيزابيل بنيامين ماما آشوري

ألا يا أهل العالم إنّ جدي الحسين عليه السلام قتلـــوه عطشـــاناً

إنّ الأئمة عليهم السلام حسب مفهومنا يعلمون الغيب.

فعلهم بالغيب بـإرادة إلهية، كما ورد في روايات مستفيضة.

ففي حديث طويل في باب معرفة الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالنورانية قال أمير المؤمنين عليه السلام لسلمان المحمدي ولجندب: «...أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ بِإِذْنِ رَبِّي، وَأَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ بِإِذْنِ رَبِّي، وَأَنَا عَالِمٌ بِضَمَائِرِ قُلُوبِكُمْ وَالأَئِمَّةُ مِنْ أَوْلَادِي عليهم السلام يَعْلَمُونَ وَيَفْعَلُونَ هَذَا إِذَا أَحَبُوا وَأَرَادُوا، لأَنَّا كُلَّنَا وَاحِدٌ أَوَّلُنَا مُحَمَّدٌ وَآخِرُنَا مُحَمَّدٌ وَأَوْسَطُنَا مُحَمَّدٌ وَكُلُنَا مُحَمَّد، فَلاَ تَفَرَّقُوا بَيْنَنَا، وَنَحْنُ إِذَا شِئْنَا شَاءَ اللهُ وَإِذَا كَرِهْنَا كَرِهَ اللهُ الْوَيْلُ كُلُ الْوَيْلِ لِمَنْ أَنْكَرَ فَضْلَنَا وَخُصوصِيَّتَنَا وَمَا أَعْطَانَا اللهُ رَبُنَا لأَنَّ مَنْ أَنْكَرَ شَيْئاً مِمَّا أَعْطَانَا اللهُ فَقَدْ أَنْكَرَ قُدْرَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَشِيَّتَهُ فِينَا...».(بحار الأنوار:٢٦/٦-٧)

يبيّن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام فضل أهل البيت عليهم السلام وكرامتهم ومنزلتهم عند الله تعالى، والحديث طويل ومعروف، في هذا الخصوص.

بل الروايات الواردة في فضلهم لا تعد ولا تحصى.

ومن ذلك: ما رواه جابر بن عبد الله عن أبي جعفر عليه السّلام أنه قال: «يا جابر عليك بالبيان والمعاني»، قال: فقلت: وما البيان والمعاني؟ فقال عليه السّلام: «أمّا البيان فهو أن تعرف أن الله سبحانه ليس كمثله شيء فتعبده ولا تشرك به شيئا، وأما المعاني فنحن معانيه ونحن جنبه وأمـره وحكمه، وكلمته وعلمه وحقّه، وإذا شئنا شاء الله، و يريد الله ما نريده، ونحن المثاني التي أعطى الله نبيّنا، ونحن وجه الله الذي يتقلب في الأرض بين أظهركم، فمن عرفنا فإمامه اليقين، ومن جهلنا فإمامه سجين، ولو شئنا خرقنا الأرض وصعدنا السماء، وإنّ إلينا إياب هذا الخلق، ثم إنّ علينا حسابهم».(مشارق أنوار اليقين في أسرار

أمير المؤمنين عليه السلام:٢٨٧)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «عن الله أروي حديثي إنّ الله يقول: يابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، و بإرادتي كنت أنت الذي تريد لنفسك ما تريد». (التوحيد للصدوق:٣٤٤، باب٥٥، ح١٣)

فقوة العبد ظهور قوة الحق {وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى} فجميع الذوات والصفات والمشيئات والإرادات والآثار والحركات من شؤون ذاته، وظل صفة مشيئته وإرادته، وبروز نوره وتجليه وكل جنوده، ودرجات قدرته، والحق حق والخلق خلق، وهو تعالى ظاهر فيها وهي مرتبة ظهوره.(شرح دعاء السحر:١١٤)

وإنّ سلسلة الوجود ومنازل الغيب ومراحل الشهود من تجليات قدرته تعالى ودرجات بسط سلطنته ومالكيته، ولا ظهور لمقدرة إلاّ مقدرته، ولا إرادة إلاّ إرادته، بل لا وجود إلاّ وجوده، فالعالم كما أنه ظلّ وجوده ومرشحة جوده، ظلّ كمال وجوده.(شرح دعاء السحر:١٢٣)

أمّا السؤال هو: ألم يكن باستطاعة الإمام الحسين عليه السلام أن يعلم حاجته إلى الماء أثناء القتال، وأنّه سوف يموت عطشاناً، وبهذا يستطيع أن يجمع كمية من الماء كافية للمعركة؟! ثم: أليس توفير المياه أثناء القتال يدخل في باب الأخذ بالأسباب؟!

والله يقول: ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾.[الأنعام:٦٠]

الإجابة عن هذا التساؤل بما لي:

أولاً

إنّ الحسين عليه السلام لم يجمع الجيوش للحرب، بل هو قد ترك مكة حتى لا يغتاله شياطين بني أمية، وتهتك به حرمة البلد الحرام، حين بلغه أن ثمة مؤامرة تهدف إلى قتله.

والذين كانوا معه، هم: عياله وأطفاله، وأهل بيته، وبعض الأصحاب، ولم يكن يزيد عدد هؤلاء جميعاً على بضعة عشرات، وإذ به يواجه بألف فارس بقيادة الحر بن يزيد الرياحي يحاصرونه، ويضيقون عليه، ويمنعونه من دخول الكوفة، حتى اضطروه للنزول في كربلاء، ليواجه جيشاً جمعوه لحربه، يصل عدده إلى ثلاثين ألفاً أو أكثر من ذلك.. فهو يعلم بأنه مقتول، لكنه هو لم يسهم في قتل نفسه، بل حاول أن يختار المكان الأقل ضرراً على الإسلام وأهله.

إنّ الحسين عليه السلام لم يجمع الجيوش للحرب، بل هو قد ترك مكة حتى لا يغتاله شياطين بني أمية، وتهتك به حرمة البلد الحرام، حين بلغه أن ثمة مؤامرة تهدف إلى قتله

فلا مورد للحديث عن أن على الحسين عليه السلام أن يبادر إلى الإعداد والاستعداد، وتهيئة الماء لأيام الحصار.. ولا لغير ذلك.

وأما إرسال مسلم بن عقيل إلى الكوفة فلم يكن لجمع الجيوش، بل أرسله لينظر في أمر الناس الذين ألحوا عليه بالقدوم عليهم، وهو إمامهم بنص الرسول صلى الله عليه وآله، وباعتراف معاوية: بأنّ الأمر من بعده للحسن، ثم للحسين، أو يرجع شورى بين المسلمين، الأمر الذي لم يلتزموا به بعد موت معاوية، لعلمهم بأنهم لو أرجعوا الأمر شورى لما اختار الناس سوى الحسين عليه السلام، انصياعاً للآيات القرآنية، وللأحاديث النبوية الواردة في حقه عليه السلام.

ثانياً

إنّ علم الأئمة عليهم السلام للغيب إنّما هو من خلال الاتصال بالرسول صلى الله عليه وآله، الذي يتلقى

علمه عن جبرئيل عن الله سبحانه وتعالى، فهو علم مكتسب من مصدر بعينه.. وليس علماً ذاتياً مستقلاً به عن الله تعالى.

وكان يجب عليه صلوات الله وسلامه عليه أن يعامل الناس وفق ما يظهرونه، ويقولونه ويفعلونه، ووفق ما يصل إليه علمه بالاستناد إلى الوسائل المتوفرة له ولسائر الناس، لا بعلم الغيب الذي لا يتيسر لسواه.

على أنّ من الواضح: أنّ ما يصل من الغيب إلى الأنبياء والأوصياء، أو: ما يسعى الأنبياء والأوصياء إلى معرفته من أمور الغيب، هو خصوص ما يتصل بنيلهم المقامات عند الله، ويزيد في معرفتهم، ليزيد في تأكيد كمالاتهم، وتحقيق المزيد من القرب منه تعالى، وكذا إذا كان ذلك يرتبط بمهماتهم الرسالية، وبمسؤولياتهم في الحياة الإنسانية، أما ما عداه مما يرتبط بأمورهم الشخصية وأمور معيشتهم، والصحة والمرض، والبلاء والعافية، وحياة الإمام عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله وموته، وما لا أثر له في حفظ الدين وأهله بصورة مباشرة، وما لا رابط له برعاية ما يجب عليهم رعايته في إيصال المخلوقات إلى الله، وما يوجب كمالهم.. أما ما عدا ذلك، فإنهم لا يديرون له بالاً، وليس له أي أهمية في حساباتهم.

ما يصل من الغيب إلى الأنبياء والأوصياء، أو: ما يسعى الأنبياء والأوصياء إلى معرفته من أمور الغيب، هو خصوص ما يتصل بنيلهم المقامات عند الله، ويزيد في معرفتهم، ليزيد في تأكيد كمالاتهم، وتحقيق المزيد من القرب منه تعالى، وكذا إذا كان ذلك يرتبط بمهماتهم الرسالية، وبمسؤولياتهم في الحياة الإنسانية

ثالثاً

لقد سجّل لنا التاريخ أنّه عليه السلام قد أرسل أخاه العباس ليأتيه بالماء، فاستشهد قبل أن يتمكن من إيصاله إليه.. وفي الروايات: أنّه عليه السلام قد حاول حفر بعض الآبار ليستنبط منها الماء، فتصدى له أعداؤه ومنعوه من ذلك.

رابعاً

إنّ من يعتقد بأنّ القدر هو الحاكم على العباد، ليس له أن يورد هذا السؤال، إذ لا يمكن تحقق مفهوم الانتحار، فإنّه إذا علم بأنّه سيقتل عطشاً، ويعلم أنّ قضاء الله لا يُردُ، فما فائدة ادّخار الماء، إذا كان القضاء قد سبق بعدم الفائدة منه؟! ولن يغير هذا القضاء شيئاً؟!

خامساً

مع غض النظر عن جميع ما قدمناه، مع أنّه هو الحق الذي لا محيد عنه، ولا مناص منه، فإنّ إصرار السائل على قوله يدعونا إلى مجاراته في النقاش، ومطالبته بالدليل على أن النبي صلى الله عليه وآله قد أعلم الحسين عليه السلام باللحظة نفسها التي يقتل فيها، فإنّ الله تعالى، يقول: إنّه ﴿...فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ...﴾.[الجن:٢٦-٢٧]

ولكن من قال: إنّ ذلك يشمل إعلام رسله بساعات وفياتهم، لاسيما مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.[لقمان:٣٤]

فلعل هذه الآية قد قيدت الآية التي سبقتها، وحصرتها بالغيوب التي لا تشمل موضوع الآجال، ولحظاتها، أو أنّها خصصتها بحالات العلم الإجمالي دون التفصيلي الدقيق.

سادساً

لنفترض أنّ الحسين عليه السلام، قد علم أنّه سيقتل عطشاناً في كربلاء، ولكن ما عساه يفعل، وقد ألجئ إلى الحضور إليها من قبل أعدائه، لاسيما وأنه قد جاء إليها مع عياله، ولم يجمع جيشاً، ولم يكن بصدد خوض حرب مع أحد؟!

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين

بقلم: السيد جعفر مرتضى العاملي

تضاعف درجات المؤمنين بولاية أهل البيت عليهم السلام

رُوي أنّ الإمام الحسين عليه السلام لما عزم على الخروج إلى العراق قام خطيباً فقال: «الْحَمْدُ للهِ وَما شاءَ اللهُ وَلا قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى رَسُولِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خُطَّ الْمَوْتُ عَلَى وُلْدِ آدَمَ مَخَطَّ الْقِلادَةِ عَلَى جِيدِ الْفَتاةِ، وَمَا أَوْلَهَنِي إِلَى أَسْلافِي اشْتِيَاقَ يَعْقُوبَ إِلَى يُوسُفَ، وَخُيِّرَ لِي مَصرَعٌ أَنَا لاَقِيهِ كَأَنِّي بِأَوْصَالِي تَقَطَّعُهَا عُسْلانُ الْفَلَوَاتِ، بَيْنَ النَّوَاوِيسِ وَكَرْبَلاَءَ فَيَمْلأَنَّ مِنِّي أَكْرَاشاً جُوفاً، وَأَجْرِبَةً سُغْباً لاَ مَحِيصَ عَنْ يَوْمٍ خُطَّ بِالْقَلَمِ، رِضَى اللهِ رِضَانَا أَهْلَ الْبَيْتِ، نَصبِرُ عَلَى بَلاَئِهِ وَيُوَفِّينَا أُجُورَ الصابِرِينَ لَنْ تَشُذَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لُحْمَتُهُ هِيَ مَجْمُوعَةٌ لَهُ فِي حَظِيرَةِ الْقُدْسِ تَقَرّ بِهِمْ عَيْنُهُ، وَيُنَجَّزُ لَهُمْ وَعْدُهُ، مَنْ كَانَ بَاذِلاً فِينَا مُهْجَتَهُ، وَمُوَطِّناً عَلَى لِقَاءِ اللهِ نَفْسَهُ، فَلْيَرْحَلْ فَإِنِّي رَاحِلٌ مُصبِحاً، إِنْ شَاءَ اللهُ».(نزهة الناظر وتنبيه الخواطر:٨٦)

الرّضا خلاف السخط، وله عدّة معانٍ:

أولاً: الاختيار: فيُقال: رضي له هذا العمل أي اختاره له، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها﴾. [البقرة:١٤٤]

أي تختارها.

ثانياً: الحب والقبول: ومنه قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْه﴾ .[المائدة:١١٩]

وبناءً على معاني (الرّضا) نريد أن نقف عند كلمة الإمام الحسين عليه السلام، فتارةً نفهم الرّضا بمعنى الأمر المَرْضيّ الذي يتعلّق به الرّضا فيكون المعنى أنّ ما اختاره الله تعالى لنا نختاره، وتارةً نفهم الرّضا نفسه بمعنى المحبّة فيكون المعنى أنّنا نحبّ ما يُحبّ الله تعالى.

ثمّ لابدّ من النظر إلى ما هو المبتدأ والخبر في الجملة فإنّه قد يكون (رضا الله) مبتدأ و(رضانا) خبره، وقد يكون العكس.

كما أنّه لابدّ من توضيح أنّ رضا الإنسان حالة نفسية توجب سرور القلب وانبساطه وميله نحو الآخر وتنمّ عن المحبّة والقبول، ولكن

رضا الله تعالى وسخطه ليس حالة نفسية بل هو ثوابه وعقابه، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «... رِضَاهُ ثَوَابُهُ، وَسَخَطُهُ عِقَابُه...».(الكافي الشريف: ١/ ٢٧١)

وبناءً على ما تقدّم يمكن أن نفهم عدّة معانٍ لخطبة الإمام الحسين عليه السلام.

المعنى الأول

أن يكون الرّضا بمعنى الأمر المرضي، ويكون (رضى الله) مبتدأ، فيكون المعنى إنّ الذي يرضاه الله تعالى فنحن نرضاه، ففي زيارة الإمام الصادق عليه السلام يقول: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ رِضَاهُ مِنْ رِضَى الرَّحْمَنِ وَسَخَطُهُ مِنْ سَخَطِ الرَّحْمَن...».(كامل الزيارات:٢١٣)

وهذا المعنى واضح في الأئمة عليهم السلام فقد كان محور حياتهم رضا الله تعالى.

ففي رواية عمّار الساباطي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجل: ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾.[آل عمران:١٦٢-١٦٣]

فقال عليه السلام: «الَّذِينَ اتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ هُمُ الأَئِمَّةُ عليهم السلام وَهُمْ وَاللهِ يَا عَمَّارُ دَرَجَاتُ الْمُؤْمِنِينَ وَبِوَلَايَتِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ إِيَّانَا تُضَاعَفُ أَعْمَالُهُمْ وَيَرْفَعُ اللهُ لَهُمُ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى».(تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: ١٢٩)

ويتجلّى هذا المعنى بوضوح في سيرة الإمام الحسين عليه السلام، من خلال كلماته ومواقفه.

فقد رضي الإمام الحسين عليه السلام بمشيئة الله تعالى باستشهاده وسبي عياله، بل إنّه عليه السلام كان يعجل لرضى الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ ...وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾.[طه:٨٤]

ولسان حاله: «إلهي إن كان هذا يرضيك فخذ حتّى ترضى».

«هذي رجالي في رضاك ذبائح».

ولهذا فقد كان عليه السلام النفس ﴿ راضيَةً مَرْضِيَّةً ﴾.[الفجر: ٢٨]

> قال الإمام الحسين عليه السلام في خطبه قبل خروجه إلى العراق: «..لاَ مَحِيصَ عَنْ يَوْمٍ خُطَّ بِالْقَلَمِ، رِضَى اللهِ رِضَانَا أَهْلَ الْبَيْتِ، نَصبِرُ عَلَى بَلاَئِهِ وَيُوَفِّينَا أُجُورَ الصابِرِينَ...»

المعنى الثاني

أن يكون الرّضا بمعنى الأمر المرضي، ويكون رضا الله تعالى خبراً مقدماً، فيكون المعنى: إنّ الذي نرضاه نحن أهل البيت عليهم السلام يرضاه الله تعالى، ومن هذا القبيل ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنّي مَنْ آذَاهَا فَقَدْ آذَانِي يَرْضَى اللهُ لِرِضَاهَا وَيَغْضَبُ لِغَضَبِهَا وَهِيَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِين».(إرشاد القلوب إلى الصواب:٢/٢٣٢)

وهنا يرد سؤال: كيف نرضي الأئمة عليهم السلام لنصل إلى رضا الله تعالى؟

الجواب: هو الاقتداء بهم واتّباعهم في كل أقوالهم وأفعالهم، مهما كلّف الأمر، وكما قال عليه السلام: «...اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَوْ أَعْلَمُ أَنَّ رِضَاكَ أَنْ أَضَعَ ظُبَةَ سَيْفِي فِي بَطْنِي ثُمَّ أَنْحَنِيَ

> إنّ الإمام الحسين عليه السلام هو أبرز مصداق للنفس المطمئنة.

عَلَيْهَا حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِي لَفَعَلْت...».(وقعة صفين: ٣٢٠)

المعنى الثالث

أن يكون المراد بالرّضا المعنى المطابقي، وليس الأمر المرضي فيكون المعنى أنّ رضا الله تعالى هو رضا أهل البيت عليهم السلام، وهذا المعنى صحيح ومطابق للقواعد العقائدية، فإنّ الله تعالى ليس محلاً للحوادث، فما يُنسب إليه من الرّضا والغضب والمحبّة والإرادة وما أشبه يُراد به أنّ الله تعالى يجعل هذه الصفات في نفوس أوليائه، فهم مظهر صفات الله تعالى.(كشف المراد:٢٩٤)

رضا أهل البيت عليهم السلام أولى من رضا غيرهم

أشار الإمام الحسين عليه السلام في كلمته إلى وجوب «رضى آل محمد عليهم السلام» وحرمة إسخاطهم، ولكن (الناس) عموماً كانوا يريدون رضا السّلطان فأسرعوا لحرب الإمام عليه السلام، وكان مصيرهم الشقاء الأبدي، ولذا لمّا بعث ابن زياد بكتاب يأمر فيه الإمام عليه السلام بالنزول على حكم يزيد قال عليه السلام رداً على كتابه: «لاَ أَفْلَحَ قَوْمٌ اشْتَرَوْا مَرْضَاةَ الْمَخْلُوقِ بِسَخَطِ الْخَالِقِ...».(بحار الأنوار:٤٤/٣٨٣)

الإمام الحسين عليه السلام هو النفس الراضية والمرضية

لقد رضي الإمام الحسين عليه السلام بقضاء الله وقدره، ورضي الله تعالى عنه، فكان مصداقاً للآية المباركة: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.[الفجر:٢٧-٣٠]

فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «اقْرَءُوا سُورَةَ الْفَجْرِ فِي فَرَائِضِكُمْ وَنَوَافِلِكُمْ فَإِنَّهَا سُورَةٌ لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام مَنْ قَرَأَهَا كَانَ مَعَ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي دَرَجَتِهِ مِنَ الْجَنَّةِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».(ثواب الأعمال وعقاب الأعمال:١٢٣)

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «اقْرَءُوا سُورَةَ الْفَجْرِ فِي فَرَائِضِكُمْ وَنَوَافِلِكُمْ فَإِنَّهَا سُورَةُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام وَارْغَبُوا فِيهَا رَحِمَكُمُ اللهُ»، فَقَالَ لَهُ أَبُو أُسَامَةَ، وَكَانَ حَاضِرَ الْمَجْلِسِ: كَيْفَ صَارَتْ هَذِهِ السُّورَةُ لِلْحُسَيْنِ خَاصَّةً؟ فَقَالَ عليه السلام: «أَلاَ تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ إِنَّمَا يَعْنِي الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عليهما السلام فَهُوَ ذُو النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ الرَّاضِيَةِ الْمَرْضِيَّةِ وَأَصْحَابُهُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله الرَّاضُونَ عَنِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ رَاضٍ عَنْهُمْ وَهَذِهِ السُّورَةُ فِي الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَشِيعَتِهِ وَشِيعَةِ آلِ مُحَمَّدٍ خَاصَّةً مَنْ أَدْمَنَ قِرَاءَةَ الْفَجْرِ كَانَ مَعَ الْحُسَيْنِ عليه السلام فِي دَرَجَتِهِ فِي الْجَنَّةِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».(تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة:٧٧٠)

إنّ قوله تعالى {يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ} دليلٌ على وصول النفس المطمئنة إلى درجة عالية بحيث تستحق أن يخاطبها الرّبّ مباشرة من دون أي واسطة

وبيان ذلك:

إنّ قوله تعالى ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ دليلٌ على وصول النفس المطمئنة إلى درجة عالية بحيث تستحق أن يخاطبها الرّبّ مباشرة من دون أي واسطة، وهذا الخطاب الخاص لا يكون إلاّ للأوحدي من الناس، وهذا الخطاب متحقق عند الاحتضار، وفي يوم القيامة، كما يقول السيّد الطباطبائي: (خطاب ظرفه جميع يوم القيامة من لدن إحيائها

إلى استقرارها في الجنّة، بل من حين نزول الموت إلى دخول جنّة الخلد).(الميزان في تفسير القرآن:٢٨٥/٢)

قوله تعالى: ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾، يوحي على أنّ النفس بعد أن كانت في عالم الدّنيا، ثمّ ارتقت واطمأنّت ورضيت عن الله تعالى، ها هي تعود إليه، ولكن كيف؟

فهي راضية عن الله تعالى، والله راضٍ عنها.

وقوله تعالى: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ يعني بعبادي هنا غير العباد الذين يعملون عملاً، وهم العباد المصطفون من بين الخلائق الذين تحقّقت فيهم صفة العبودية بأكمل معانيها، بل هناك عباد خاصّون أي خواص الخواص، وهم أهل البيت عليهم السلام الأربعة عشر.

والجنة الخاصّة أيضاً، فهناك (جنّتان) و(جنّات)، وأمّا هنا فـ(جنّتي) وهي خاصّة للخواص، وهي جنّة (الرّضوان).

توضيح

بعد هذا البيان نقول:

إنّ الإمام الحسين عليه السلام هو أبرز مصداق للنفس المطمئنة، فقد كان عليه السلام يعيش وسط أجواء الغضب، والحيرة، والخوف، ومع ذلك كان ثابت النفس، مطمئناً، قوياً، راضياً، بلا تزلزل ولا ضعف ولا اضطراب، كما يقول العقّاد: (ملك جأشه، وكل شيء حوله يوهن الجأش)، فصحّ أن يقال: إنّه المصداق البارز للنفس المطمئنة، ولذلك استحق أن يُنادى من قبل الله تعالى مباشرة بهذا النداء، وقد وردت الروايات الشريفة أنّ الله يتوفّى روح الشهيد بلا واسطة، فكيف بسيّد الشهداء عليه السلام؟ وهو الرجوع إليه تعالى راضياً بما أعدّ الله تعالى له من الجزاء والثواب، ومرضياً.

وأمّا كيف صار مرضيّاً؟

فالجواب: إنّ الإنسان قد يعمل الأعمال التي ترضي الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾.[طه:١٠٩]

وهذه درجة عامّة، ولكنّه إذا ترقّى فإنّ ذاته تصبح مرآة لرضى الله تعالى، فلا يرضى إلاّ بما يرضاه الله، كما أنّ رضى الله تعالى يتحقّق به، وبالتالي يكون هو عين الرّضا، وهذا أعلى مقام للإنسان، وبه ينال الفوز العظيم، كما قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ...ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. [المائدة:١١٩]

وهذا ما تحقّق في الإمام الحسين عليه السلام، فقد رضي الإمام عليه السلام لما أعطاه الله تعالى بعد مماته، وقد عوّضه الله بأمور خاصّة في الدنيا، فرفع ذكره، وبقي نسله، وجعل الأئمة من ذرّيته، واستجاب الدّعاء تحت قبّته، كما في الروايات.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «اقْرَءُوا سُورَةَ الْفَجْرِ فِي فَرَائِضِكُمْ وَنَوَافِلِكُمْ فَإِنَّهَا سُورَةُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام وَارْغَبُوا فِيهَا رَحِمَكُمُ اللهُ»

فعَنْ كَرَّامِ بْنِ عَمْرٍو الْخَثْعَمِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ وَجَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَقُولَانِ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى عَوَّضَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ قَتْلِهِ أَنْ جَعَلَ الْإِمَامَةَ فِي ذُرِّيَّتِهِ، وَالشِّفَاءَ فِي تُرْبَتِهِ، وَإِجَابَةَ الدُّعَاءِ عِنْدَ قَبْرِهِ...».(أمالي الطوسي:٣١٧)

وأمّا في الآخرة فله مقامات خاصّة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الأطهار عليهم السلام.

بقلم: حسين نجيب محمد

السرّ في عاشوراء.. بين العلم والجهل

زلزال في نواميس الطبيعة.. هذا ما نعتقد أنه جرى في يوم عاشوراء، حيث اقشعرت أظلة العرش وبكت السماوات والأرض! وهيّجت عاشوراء الحرارة في قلوب المؤمنين، ولا تزال تنقلهم إلى عالم الألم والحزن والبكاء.

ولطالما حاولنا فهم اليسير مما جرى في ذلك اليوم الرهيب.. يوم الحسين.. يوم عاشوراء.. يوم الكآبة والحزن عند المعصومين، يوم الكرب والبلاء.. لأننا نؤمن بأنّ العلم والفهم خيرٌ محض.. ولأنّ الحبّ المقرون بالمعرفة أسمى وأشرف وأرفع.

فقطعنا أشواطاً في فهم ما بلغنا عن مفردات عاشوراء.. وغصنا في قراءات تحليلية لكل محور من محاورها.. وتمعّننا في الظروف الموضوعية لتلك الأحداث.. ونشرنا ذلك في كتاباتنا.. ونطق به علماؤنا ولهج به خطباؤنا وحفظه عامتنا عن ظهر قلب.. ولا ينازعنّ عاقل في رجحان ذلك، فإنّ فيه تشجيعاً على التعقّل والتفهم والتدبر والمعرفة.

لكنه لم يغب عنّا يوماً أنّ فهمنا هذا إنّما هو فهم إنساني بحسبنا، يتناسب مع مستوى إدراكنا، دون أن نبلغ حقائق الأمور التي لا يدركها إلا المعصوم عليه السلام!

وقراءة فعل المعصوم بحسب

المعطيات والظروف الموضوعية وإن كان يتناسب مع تعامل الشريعة بحسب الظواهر بلا شك، لكنه لا يُظهر لنا ملاك تصرف المعصوم ولا يكشف لنا أسرار وأبعاد فعله بالكامل فهذا مما لا سبيل لإدراك شيء منه إلا بتوسط المعصوم نفسه.

فإنّ الناس يُفَرّقون بين إدراك بعض المصالح من أي عمل، وبين الداعي والدافع لهذا العمل والذي لا يعرفه إلا الله تعالى العالم المحيط بالأمور أو من أطلعه الله عليه.

ونعتقد بأن الطريق الوحيد لمعرفة (علّة) الحكم الشرعي الثابت والإحاطة بكل جهاته تنحصر بنصّ المعصوم على ذلك.. وإن تَلَمَّسنا بعض الحِكَم والآثار لأي حكم شرعي وأدركوا توافقه مع الفطرة البشرية والحاجة الإنسانية على مر العصور.

وإذا كان ما ثبت بالنص هذا حاله، ففعل المعصوم (والفعل صامت) أولى بعدم الإحاطة بأبعاده ما لم يخبر بها الإمام.

وإذا كانت هذه القرون تتوالى، ويغوص أساطين المذهب وكبار علمائه في روايات آل محمد ليستخرجوا درراً من الجمع بين (ظواهر) النصوص، والتنبه إلى (بعض إشاراتها)، فإنهم يقفون عند هذه الظواهر ولا يزعمون أنهم أحاطوا بحقائق الأحكام وعللها.. إنما بما يعذرنا أمام الله تعالى في امتثال أوامره عز وجل.

ولقد تظافر النقل في ذلك، فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حُمْرَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الصادق عليه السلام قَالَ: «إِنَّا لَنَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ بِهَا سَبْعُونَ وَجْهاً لَنَا مِنْ كُلِّهَا الْمَخْرَجُ».(بصائر الدرجات ج١ ص٣٢٩).

وقد روي عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُسْكَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْخَالِقِ وَأَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللهِ الصادق عليه السلام: «يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّ عِنْدَنَا وَاللهِ سِرّاً مِنْ سِرِّ اللهِ وَعِلْماً مِنْ عِلْمِ اللهِ وَاللهِ مَا يَحْتَمِلُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلاَ نَبِيٌ مُرْسَلٌ وَلاَ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ وَاللهِ مَا كَلَّفَ اللهُ ذَلِكَ أَحَداً غَيْرَنَا وَلاَ اسْتَعْبَدَ بِذَلِكَ أَحَداً غَيْرَنَا...».(الكافي الشريف:١/٤٠٢،ح٥)

أشار عليه السلام إلى صنفٍ أسمى من علومهم التي خصهم الله تعالى بها دون خلقه حتى ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين، وتعبير الإمام بالتكليف والعبادة (كلف.. استعبد) لا يعني ارتباطها بالأحكام الشرعية للخلق فتلك مما أمروا بتبليغه، إنّما هي علوم وتكاليف وعبادات خاصة بينهم وبين ربّهم عزّ وجل تتناسب ومقامهم الشريف الذي لا يطمح له طامح.

والصنف الآخر من الأسرار والعلوم هو ما أمروا بتبليغه، فإنّهم لم يجدوا له موضعاً حتى قال عليه السلام: «...وَإِنَّ عِنْدَنَا سِرّاً مِنْ سِرِّ اللهِ - وَعِلْماً مِنْ عِلْمِ اللهِ أَمَرَنَا اللهُ بِتَبْلِيغِهِ فَبَلَّغْنَا عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا أَمَرَنَا بِتَبْلِيغِهِ فَلَمْ نَجِدْ لَهُ مَوْضِعاً وَلاَ أَهْلاً وَلاَ حَمَّالَةً يَحْتَمِلُونَهُ حَتَّى خَلَقَ اللهُ لِذَلِكَ أَقْوَاماً خُلِقُوا مِنْ طِينَةٍ خُلِقَ مِنْهَا».(الكافي الشريف:١/٤٠٣)

> عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الصادق عليه السلام قَالَ: «إِنَّا لَنَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ بِهَا سَبْعُونَ وَجْهاً لَنَا مِنْ كُلِّهَا الْمَخْرَجُ»

ومَن سوى هذه القلة المؤمنة، فقال عليه السلام: «...إِنَّ اللهَ خَلَقَ أَقْوَاماً لِجَهَنَّمَ وَالنَّارِ فَأَمَرَنَا أَنْ نُبَلِّغَهُمْ كَمَا بَلَّغْنَاهُمْ وَاشْمَأَزُّوا مِنْ ذَلِكَ وَنَفَرَتْ قُلُوبُهُمْ وَرَدُّوهُ عَلَيْنَا وَلَمْ يَحْتَمِلُوهُ وَكَذَّبُوا بِهِ...».(الكافي الشريف:١/٤٠٤)

إنه إذاً عالم الأسرار!

فقسمٌ من العلوم أمرهم الله بابلاغها فقبلته فرقة واشمأزت منه أخرى.. وقسم اختصهم الله تعالى به، ضلت العقول وحارت الألباب عن وصف شأنٍ من شأنه!

وكانوا أسراراً حملة للأسرار.. فورد في زيارة الإمام الكاظم عليه السلام: «...السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا سِرَّ اللهِ الْمُسْتَوْدَعَ...».(بحار الأنوار:٩٩/١٦،ح١٠)

وأخبروا عن أنفسهم بأنهم: موضع سرّ الله. وأنهم:

الباب المأمون على سرّ الله المكنون.

فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنِي ثَابِتٌ الثُّمَالِيُّ عَنْ سَيِّدِ الْعَابِدِينَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام قَالَ: «لَيْسَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ حُجَّتِهِ حِجَابٌ فَلاَ للهِ دُونَ حُجَّتِهِ سِتْرٌ نَحْنُ أَبْوَابُ اللهِ وَنَحْنُ الصِرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَنَحْنُ عَيْبَةُ عِلْمِهِ وَنَحْنُ تَرَاجِمَةُ وَحْيِهِ وَنَحْنُ أَرْكَانُ تَوْحِيدِهِ وَنَحْنُ مَوْضِعُ سِرِّهِ».(معاني الأخبار:٣٥)

ثم ما لبث المؤمن أن رأى نفسه أمام حُجُبٍ مغلقة فسَلَّمَ بأنه قرين الملائكة في لزوم الإقرار بالجهل.. أما الملائكة فلقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ﴾. [البقرة:٣٣]

وأمّا الإنس فلقوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.[آل عمران:٦٦]

فأنّى لنا أن نحيط خبراً بأسرار الله تعالى! أفلا تكون عاشوراء التي قلبت كل الموازين سراً من سر الله؟ أم كيف يمكن أن نفهم مفردة من مفرداتها؟ حسبك ما قاله جبرئيل لسيد الكائنات في وصف ما جرى يوم عاشوراء..

فقال عليه السلام: «تَزَعْزَعَتِ الأَرْضُ مِنْ أَقْطَارِهَا وَمَادَتِ الْجِبَالُ وَكَثُرَ اضْطِرَابُهَا وَاصْطَفَقَتِ الْبِحَارُ بِأَمْوَاجِهَا وَمَاجَتِ السَّمَاوَاتُ بِأَهْلِهَا غَضَباً لَكَ يَا مُحَمَّدُ وَلِذُرِّيَّتِكَ وَاسْتِعْظَاماً لِمَا يَنْتَهِكُ مِنْ حُرْمَتِكَ... وَلاَ يَبْقَى شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِلاَّ اسْتَأْذَنَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي نُصرَةِ أَهْلِكَ الْمُسْتَضْعَفِينَ الْمَظْلُومِينَ... فَعِنْدَ ذَلِكَ يَضِجُّ كُلُّ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ بِلَعْنِ مَنْ ظَلَمَ عِتْرَتَكَ وَاسْتَحَلَّ حُرْمَتَكَ».(كامل الزيارات:٢٦٤)

تَزَعْزَعَتِ الأَرْضُ مِنْ أَقْطَارِهَا وَمَادَتِ الْجِبَالُ وَكَثُرَ اضْطِرَابُهَا وَاصْطَفَقَتِ الْبِحَارُ بِأَمْوَاجِهَا وَمَاجَتِ السَّمَاوَاتُ بِأَهْلِهَا غَضَباً لَكَ يَا مُحَمَّدُ وَلِذُرِّيَّتِكَ وَاسْتِعْظَاماً لِمَا يَنْتَهِكُ مِنْ حُرْمَتِكَ

كيف لنا أن نتصور ذلك على حقيقته فضلاً عن أن نحيط به؟! الأرض تتزعزع من أقطارها.. والجبال تميد.. والسماوات تموج بأهلها.. غضباً لما جرى على الحسين عليه السلام!! الجمادات تستأذن الله تعالى في نصرة سيد الشهداء!! ولما لم يأتها الإذن ضجت باللعن على ظالميه!!

ولئن أدركت عقولنا القاصرة شيئاً مما يصلح لتقريب الصورة إلى الذهن، وإقناع المخاطَب أو المستمع، فأنّى لها أن تدرك حقيقة قول سيّد الشهداء عليه السلام: {...رَبِّ إِنْ تَكُنْ حَبَسْتَ عَنَّا النَّصرَ مِنَ السَّمَاءِ فَاجْعَلْ ذَلِكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ وَانْتَقِمْ لَنَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ...».(الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد:٢/١٠٨)

نعم لا نُعْدَم فهماً تقرّ به قلوبهم وتطمئن به

نفوسهم، ويلجمون به عدوهم، يستند إلى الحجة والبرهان التي توارثوها عن العترة الطاهرة.. فإننا تَلَمَّسنا حِكَماً من أفعال المعصوم عليه السلام وأدركنا وجوهاً محتملة للكثير من تلك المفردات منها:

١. إخراج النساء والأطفال إلى عاشوراء حيث تمت الحجة بذلك وتكامل دور المأموم مع الإمام.

٢. امتناع العباس عليه السلام عن شرب الماء عطشاناً مواساةً لإمام زمانه.

٣. حمل الحسين عليه السلام الطفل الرضيع واستسقاؤه له وإظهار خلو القوم من الإنسانية مطلقاً.

٤. التمييز بين التصبّر أمام العدو الشامت تارة، وبين إظهار الحزن والجزع وحتى الإدماء تارة أخرى.

وغيرها العشرات بل المئات مما يعرفه أطفالنا وعوامنا فضلاً عن علمائنا إجابات متعددة عن وجه الحكمة فيها ولو على سبيل الاحتمال.

فإنّنا لم ندّع يوماً أنّنا نفهم هذا فهم إحاطة .. وكيف نحيط بأسرار الله تعالى؟! وكيف نقيس أفعال المعصوم عليه السلام على أنفسنا؟!

> عَنْ سَيِّدِ الْعَابِدِينَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام قَالَ: «نَحْنُ أَبْوَابُ اللهِ وَنَحْنُ الصِرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَنَحْنُ عَيْبَةُ عِلْمِهِ وَنَحْنُ تَرَاجِمَةُ وَحْيِهِ وَنَحْنُ أَرْكَانُ تَوْحِيدِهِ وَنَحْنُ مَوْضِعُ سِرِّهِ»

إنّنا مُسَلِّمون لله ورسوله وعترته.. تنزّهنا عما نَهَجَه الأراذل حساد آل محمد عليهم السلام الذين صاروا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾.[النساء:٥٤]

وقد طهّرنا قلوبنا بحبّ آل محمد عليهم السلام فيما دنّسها غيرنا بحسدهم.. فحمل الحسد وطلب الدنيا أولئك على (الجحود والإنكار).

فمنهم من لبس لباس العدو فكان قاتلاً للحسين عليه السلام ولشيعته على مر التاريخ! ومنهم من لبس لباس الصديق فسلك منهج التشكيك بنهج محمد وآل محمد!

ولا نزال نعيش آثار يوم الطف، حينما قتلت أمة الرسول سبطه فقال جبرئيل عن هذه الأمة: «يَضْرِبُهَا اللهُ بِالاخْتِلَافِ فَتَخْتَلِفُ قُلُوبُهُمْ». (كامل الزيارات:٦١)

وقال أصدق من أقلّت الغبراء أبو ذر الغفاري: «إِنَّ اللهَ سَيَسُلُّ سَيْفَهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا يَغْمِدُهُ أَبداً وَيَبْعَثُ قَائِماً مِنْ ذُرِّيَّتِهِ فَيَنْتَقِمُ مِنَ النَّاسِ».(كامل الزيارات:٧٤)

اللهم عجل لوليك الفرج واجعلنا من المنتقمين معه.

بقلم: شعيب العاملي

الغريب مسلم بن عقيل

الحديث عن مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه حديثٌ عن أوّل قضايا الحسين عليه السلام تقريباً، فهناك بعض الأفكار والآراء يمكن عرضها في العناوين التالية:

الأخوّة

حين أرسل الإمام الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل رضوان الله عليه إلى الكوفة، كتبَ معهُ كتاباً يُعرّفه لأهلها ويصفهُ بأنّه: «أخي وابن عمّي، وثقتي من أهل بيتي، والمفضّل عندي».(إرشاد المفيد:٢٠٤)

فهذه عدّة صفات:

أمّا كونهُ ابن عمّه: فهو تعبير عن قرابته فعلاً؛ لأنّ عليّاً وعقيلاً سلام الله عليهما أخوان شقيقان، وهما أبوا الحسين ومسلم.

وأمّا كونهُ أخاه: فهو على ما أعتقد أهمّ هذه الصفات على الإطلاق؛ لأنّه لم يكن أخاً شقيقاً حقيقةً ولا غير شقيق، فلابدّ من حَمله على أحد معنيين: إمّا المعنى المجازي، أو المعنى المعنوي، ولا تنافي بينهما؛ لأنّه في الظاهر أخ مجازي وفي الباطن أخ معنوي.

وفي هذا الصدد ينبغي أن نلتفت إلى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حين آخى بين أفراد المهاجرين والأنصار وترك عليّاً عليه السلام، شكى إليه علي بأنّه لم يُعيّن له أخاً؟ فقال: «جَعلتك أخاً لنفسي».(مناقب ابن شهر آشوب:٢)

ومن هنا وردَ تشريفه بهذه الصفة بأنّه المخصوص بالأخوّة، يعني مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذه ليست أخوّة مجازيّة بل أخوّة معنويّة وحقيقية على المستوى الإلهي.

ومحلّ الشاهد من ذلك أنّنا نسأل: لماذا نحمل أخوّة رسول الله صلى الله عليه وآله على الأخوّة المعنويّة، ولا نحمل أخوّة الحسين عليه السلام على المضمون نفسه، فإمّا أن نحملهما معاً على عالَم المجاز، وإمّا أن نحملهما معاً على عالَم المعنى، ولا يحقّ لنا أن نحمل بعضها هكذا وبعضها هكذا؟

وحيث تعيّن أن تكون أخوّة علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله معنوية، كذلك ينبغي أن تكون أخوّة مسلم بن عقيل للحسين عليه السلام معنوية.

كلّ ما في الأمر أنّ الفرق بين الأخوّتين: هو الفرق بين الشخصين أعني عليّاً ومسلماً من ناحية، ورسول الله صلى الله عليه وآله والحسين من ناحية ثانية، فهذه الأخوّة أدنى

من تلك الأخوّة؛ لأنّها تختلف عنها باختلاف الحسين عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكنّها مع ذلك شريفة وعظيمة جدّاً، بحيث لا تُقاس معها أيّ أخوّة أخرى في البشريّة.

هذا، وأمّا قوله: (ثقتي من أهل بيتي) فهو واضح المعنى، غير أنّ فيه جهتين من الحديث.

الجهة الأولى: أنّ الوثاقة لا مَحالة تختلف، فهناك الثقة، وهناك الأوثق، وهناك الأوثق منه، وهكذا.

أمّا كلام الإمام الحسين عليه السلام، فيدلّ على أنّ مسلم بن عقيل سلام الله عليه ثقة للإمام المعصوم عليه السلام، وهذه أعلى أشكال الوثاقة بعد العصمة.

الجهة الثانية: أنّه قد يقع السؤال: أنّ في العبارة دلالة أو إشعاراً بأنّه أوثق من غيره من الهاشميّين (من أهل بيتي)، ولا يوجد مَن هو في مستواه، مع أنّ فيهم الكثيرين ممّن يعدلونهُ في الوثاقة: كالعبّاس بن علي، وعليّ بن الحسين الأكبر، والقاسم بن الحسن السبط، فضلاً عن الإمام السجّاد عليّ بن الحسين عليهما السلام، وهو الإمام المعصوم بعد الحسين عليه السلام؟

وجواب ذلك على مستويين:

المستوى الأول

إنّ قوله: (ثقتي من أهل بيتي)، لا دلالة فيه على أنّ ثقاته عليه السلام منحصرون فيه، وإنّ غيره ليس من ثقاته، أو أدنى منه في وثاقته؛ فإنّ هذه الاستفادة وأمثالها من مفهوم الوصف، وهو باطل على ما هو المبرهن عليه هناك؛ فإنّك لو وصفتَ شخصاً كريماً لم يكن معناه أنّ الآخرين ليسوا كُرماء، أو لا يوجد كريم غيره، وخاصّة إذا فَصلنا نقطة بين الصفتين: أعني (ثقتي) من ناحية، و(من أهل بيتي) من ناحية أخرى؛ فإنّ هذا المعنى يكون واضحاً جدّاً، ولا دليل على ارتباطهما من هذه الناحية.

وعلى أيّ حال، فلو كان ظاهر العبارة ذلك، لابدّ من حَرفها عن ظاهرها وتأويلها؛ لأنّ الظاهر إنّما يكون حجّة مع عدم قيام الدليل على بطلانه، ومن المعلوم بالضرورة أنّ مثل هذا الظاهر - بعد التنزّل جَدلاً عمّا قلناه - يكون غير مُحتمل الصحّة.

هذا، وكلّ هذه المستويات من الكلام يمكن أن نقولها في الصفة الأخرى، وهي قوله: (والمفضّل عندي)، فراجع وتأمّل، مضافاً إلى أنّها رواية غير معتبرة السند.

وأمّا قياسه - أعني مسلم بن عقيل عليه السلام بالإمام المعصوم عليه السلام - فهو غير مُحتمل أصلاً في ضمير المؤمنين ووجدانهم، وإنّما مراد الحسين عليه السلام لو أراد تفضيله على الآخرين، فإنّما يريد غير المعصومين منهم بطبيعة الحال.

المستوى الثاني

أن ننظر إلى أنّ الحسين عليه السلام لماذا اختار مسلماً بالذات للسفارة عنه في الكوفة، مع أنّ أهل بيته عديدون، فإذا أجبنا أنّه هو الوحيد الصالح منهم للسفارة، أمكننا عندئذٍ أن نفهم من العبارة أنّه (ثقتي من أهل بيتي، والمفضّل عندي): ممّن هو صالح لهذه السفارة والمهمّة، وعندئذٍ لا بأس أن يكون هو الوحيد الموصوف بها.

وعلينا الآن استعراض بعض الموانع المحتملة التي كانت تحول دون إرسال غيره في هذه المهمّة:

أولاً:

كان هناك جماعة لا يناسبهم العمر اجتماعيّاً للقيام بهذه المهمّة مهما كانوا علماء حكماء؛ لأنّهم كانوا شبّاناً صغاراً: كالقاسم بن الحسن، والإمام السجّاد عليه السلام، وكذلك عليّ بن الحسين الأكبر على بعض الروايات.(مقتل الخوارزمي:٢٨)

ثانياً

كان هناك أكثر من واحد يتّصف بالعوق المانع عن أداء المهمّة: كالعمى في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام، والضُعف العام عن الحرب، أو ضُعف الذراعين عن الضرب، كما وردَ عن محمّد ابن الحنفية وهو ابن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ثالثاً

يبدو أنّ الإمام الحسين عليه السلام تجنّبَ عن عمدٍ إيكال المهمّة إلى أولاد علي عليه السلام وأحفاده، بل أخرَجها عن هذه العائلة تماماً، والوجه الذي يبدو من ذلك - بغضّ النظر عمّا يأتي -: هو إجلال هذه العائلة عن مهمّةٍ أدنى منها، ويمكن لكثيرين من غيرهم القيام بها، وسيكون مسلم بن عقيل هو خير مَن يكون من خارج الأسرة.

رابعاً

ما يذكرهُ عدد من الخطباء: من أنّ الحسين عليه السلام حين حَجبَ المهمّة، أو مَنعها عن أخيه العبّاس عليه السلام، وابنه الأكبر وأضرابهم، إنّما ذَخرها بذلك لنيل الشهادة معه في كربلاء، وهو مقام أسمى وأعظم؛ فإنّ مسلم بن عقيل عليه السلام وإن كان من شهداء الحسين عليه السلام، إلاّ أنّ الشهادة بين يدي الحسين وسمعه وبصره، ولأجل الدفاع المباشر عنه مهمّة أعلى وأصفى وأقدس أمام الله عزّ وجل، وهذا على أيّ حال مربوط بالعلم الإلهامي الذي يُعرِّفه الإمام

الحسين عليه السلام من قضاء الله وقَدَره.

مسلم في الكوفة

قد يخطر على البال السؤال: أنّ مسلم بن عقيل لماذا لم يحتل الكوفة احتلالاً عسكريّاً ويسيطر على الحكم فيها، وخاصّة بعد أن تمّ لديه مبايعة اثني عشر ألفاً من أنصاره.(مروج الذهب للمسعودي:٣/٦٦)

وقد ذكر أنّهم عشرون ألفاً.(مقتل الخوارزمي:١/٢٠)

أمّا في تاريخ الطبري، والإرشاد للمفيد، ونهاية الإرَب للنويري، والإيقاد للعظيمي أنّهم ثمانية عشر ألفاً، وقد ذَكر ابن نما الحلّي في مُثير الأحزان أنّهم أربعون ألفاً.

فقد كانوا وَعَدوه أو وعَدوا الحسين عليه السلام - في بعض كتبهم إليه - أن يطردوا النعمان بن بشير، حاكم الكوفة ممثّلاً عن الحاكم الأموي، وقالوا: (ثمّ إنّه ليس علينا إمام غيرك، فأقبِل لعلّ الله يجمعنا بك على الحقّ، والنعمان ابن بشير في قصر الإمارة ولسنا نجتمع معه في جمعة ولا جماعة ولا عيد، ولو بَلَغنا إقبالك إلينا، أخرجناه حتّى نُلحقه بالشام إن شاء الله تعالى).(الكامل في التاريخ:٣/٢٦٦)

وواضحٌ: أنّ إقبال مُمثّل الحسين ورسوله عليهم، كإقبال الحسين نفسه، فلماذا لم يفعلوا ذلك، ويتسبّبوا في أخذ زمام السلطة من قِبل مسلم بن عقيل عليه السلام؟

والجوابُ عن ذلك - بغضّ النظر عمّا قلناه في مقدّمات هذا البحث من أنّ عقولنا قد تقصر عن نيل الواقعيات أوّلاً، وأنّ هؤلاء العظماء عند الله كأمثال مسلم بن عقيل ممّن لهم التأييد والتسديد من الله سبحانه ثانياً، ومعهُ ينسدّ السؤال عن ذلك وغيره - يمكن بأمور:

الأمر الأوّل

إنّ مسلم بن عقيل سلام الله عليه لم يكن مُخوّلاً من قِبل الحسين عليه السلام بالحرب، ولا باستلام الحكم في الكوفة؛ وإنّما كان مخوّلاً فقط لاستكشاف الحال في الكوفة وإرسال الخبر إلى الحسين عليه السلام، ومن المعلوم أنّ السيطرة على الكوفة تحتاج إلى قتال، وهو ممّا لم يأذن به الحسين عليه السلام.

فإنّ نصّ جواب الحسين عليه السلام يقول: «أمّا بعد، فقد فهمتُ كلّ الذي اقتصصتم وذَكرتم، ومقالة جُلّكم: إنّه ليس علينا إمام فأقبِل لعلّ الله يجمعنا بك على الهدى والحقّ، وأنا باعثٌ لكم بأخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، وأمرتهُ أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتبَ إليّ أنّه قد اجتمعَ رأي مَلأكم وذوي الحِجى منكم على مثل ما قدمت به رُسلكم وتواترت به كتبكم، أقدِم إليكم وشيكاً إن شاء الله...».(تاريخ الطبري:ج٦/١٩٨)

إلى آخر ما قال، وهو خالٍ من التخويل بالحرب، كما هو واضح.

الأمر الثاني

إنّ استلام حكم الكوفة من قِبل مسلم بن عقيل إن كان بدون حرب - كما يُشعر به كتاب أهلها الذي سمعناه حين يقولون عن حاكمها: (أخرجناهُ وألحقناه بالشام) هكذا بكلّ سهولة - لهانَ الأمر، بل أمكنَ القول شرعاً، بأنّه تجب السيطرة على الكوفة عندئذٍ، إلاّ أنّ الأمر لم يكن كذلك جزماً، لعدّة أمور منها:

أوّلاً

وجود المنافقين والمعاندين في الكوفة بمقدار معتدٍّ به، وهم بلا شكّ مستعدّون للوقوف ضدّ هذا الاتّجاه، سواء بالحرب لمنعه أو بالتآمر لإفشاله وإسقاطه لو تمّ، ومن هنا يصعب حصول الأمر بالنجاح التام والمستمر.

ثانياً

إنّ حاكم الكوفة يومئذٍ (النعمان بن بشير)، وإن كان حسب ما وردَ في التاريخ: أنّه كان رجلاً متخاذلاً مشكّكاً يحبّ العافية، ويُفضّل الراحة والسلامة، ولكنّه مع ذلك ورد أنّه خَطبَ وهدّد الكوفيين بأنّ استعمالهم للسلاح ضدّه، يعني استعماله ضدّهم، ولن يستطيعوا أن يزيلوه بسهولة؛ وإنّما لابدّ من أن تنشب الحرب بينهم، وسيستعين في الوقت نفسه بالمعاندين والمنافقين والفـسقة الذين هم على استعداد لمعونته جزماً.(إعلام الورى للطبرسي:٢٢٤)

ونسمعهُ يقول في خطبته:

(إنّي لا أقاتل مَن لم يقاتلني، ولا أثب على مَن لا يثِب عليّ...

ولكنّكم إن أبديتم صفحتكم ونكثتم بيعتكم وخالفتم

إنّ وصف الإمام الحسين عليه السلام مسلماً يدلّ على أنّ مسلم بن عقيل سلام الله عليه ثقة للإمام المعصوم عليه السلام، وهذه أعلى أشكال الوثاقة بعد العصمة.

إمامكم (يعني الحاكم الأموي)، فو الذي لا إله غيره لأضربنكم بسيفي ما ثبتَ قائمه بيدي، ولو لم يكن لي منكم ناصر ولا مُعين، أمّا إنّي أرجو أن يكون مَن يعرف الحقّ منكم أكثر ممّن يُرديه الباطل...).(إرشاد المفيد:٢٥٠)

وهذا يعني عدّة أمور:

ألف: مناجزتهم الحرب إذا هم حاربوا.

باء: إعطاء الحريّة لهم في أن يفعلوا ما يشاءون ضمن التصرّف السلمي غير القائم على السلاح، وأعتقدُ أنّ هذا من النِعم الإلهيّة على مسلم بن عقيل وأنصاره استطاعوا فيه أن يُثبتوا وجودهم تامّاً.

ويكفينا تقييماً للحالة، لو استطعنا المقايسة بينها وبين ما أصبحَ عليه الحال عند حُكم عُبيد الله بن زياد، الذي عيّنه الحاكم الأموي بعد النعمان بن بشير.

جيم: المسؤوليّة الأخلاقيّة تجاه النعمان بن بشير هذا، من حيث إنّه كفّ عنهم شرّه، فاللازم أن يكفّوا عنه شرّهم، وإذا لم يحاربوه، لم يمكنهم عزلهُ والسيطرة على الحكم، وعلى أيّ حالٍ فقد استطاع النعمان بن بشير بذلك أن يبقى هو الحاكم ما دام غير معزول من قِبل سيّده الأصلي الحاكم الأموي.

الأمر الثالث

إنّ مسلم بن عقيل عليه السلام شعرَ أنّ قيام حرب واسعة في داخل المجتمع الإسلامي الجديد، الذي لم يكن قد تجاوز قَرنهُ الأوّل، سوف يكون كارثة على الإسلام كلّه، وسيُقتل من المسلمين عامّة ومن المخلِصين خاصّة العدد الكثير، وسيفتح ثغرة وفرصة لأعداء الإسلام من الخارج والداخل للسيطرة على المجتمع سيطرة كاملة ومحكمة.

إذاً، فقد اقتنعَ مسلم بكلا الأمرين وهما: تعذّر السيطرة سلميّاً على الكوفة، والآخر: عدم المصلحة في السيطرة عليها عسكريّاً، إذاً فلا ضرورة إلى تلك السيطرة حتّى لو كان مسموحاً له من قِبل الحسين عليه السلام بها ما لم يكن مأموراً بها، وهو جَزماً لم يكن كذلك.

الأمر الرابع

إنّ هناك أمراً قلّما يأخذهُ عامّة الناس بنظر الاعتبار، وهو:التناسل البشري ، يعني احتمال ولادة مؤمن من مؤمن، أو من كافر، أو منافق، غير أنّ هذا ممّا يؤخذ في الحكمة الإلهيّة جَزماً، فيكون من الحكمة المحافظة على بعض النفوس، لكي يوجد من ذراريها ولو بعد جيلٍ أو أجيال، جماعة من المؤمنين الذين يعبدون الله وينصرون دين الله بإخلاص، وإذا كانت أيّ حربٍ مانعة عن ذلك - والحرب بطبيعتها مانعة عن ذلك - إذاً فمن الضروري عدم وقوعها.

يفهم مما ورد بعض الأمور منها ما يلي:

أولاً: إنّ مسلم بن عقيل سلام الله عليه كما صرّح الإمام الحسين عليه السلام في قوله الأخ وابن العم والثقة، وهذا يدل على أنّه السفير عن الإمام الحسين عليه السلام في الكوفة، مع العلم أنّ أهل الكوفة كانوا لا يتعاملون معه باعتباره كسفير عن الإمام عليه السلام.

> **قال الإمام الحسين عليه السلام واصفاً مسلماً: «أخي وابن عمّي، وثقتي من أهل بيتي، والمفضّل عندي».**

ثانياً: هناك أفراد من أهل بيت الحسين عليه السلام كانوا في المدينة وهم أعلى مقاماً وأرفع منزلة من مسلم ابن عقيل إلاّ أنّ الإمام الحسين عليه السلام رأى أنّ مسلم ابن عقيل سيؤدي عمله بصورة جيّدة، فلا داعي لشخص كالعباس عليه السلام أو علي الأكبر أو غيرهما بل هؤلاء عليهم أن يكونوا إلى جنب الإمام عليه السلام لتأدية مهمّة أكبر وأعظم من السفارة.

ثالثاً: تعامل مسلم بن عقيل بدقّة تامة ونفّذ أوامر مولاه الحسين عليه السلام بالشكل الصحيح، حيث لم يسبق الإمام بأي خطوة قبل وصول الإمام عليه السلام.

رابعاً: اختيار مسلم رضوان الله عليه في أن يكون سفيراً ليس تقليلاً من شأن باقي أهل البيت عليهم السلام، بل هو بيان واضح للناس على أنّ كل من كان له علاقة مع الإمام الحسين عليه السلام فله منزلة خاصة ومرتبة رفيعة، فمع بعد القرابة بين الحسين عليه السلام ومسلم إلاّ أنّه كان مورد ثقة الإمام عليه السلام.

خامساً: إنّ استشهاد مسلم بن عقيل في الكوفة بالطريقة المروية في كتب التاريخ ليس تنقيصا من شخصيته المباركة أو تقليلاً من أهمية عمله الموكل به، بل هو أول شهيد من أهل بيت الحسين عليه السلام الذي استشهد في مسيرة الحسين عليه السلام ومن أجل الدفاع عن الإمام عليه السلام.

* السيد محمد الموسوي

ظاهرة تفشي الإلحاد في المجتمعات الإسلامية الأسباب والعلاج

الإلحاد وأسبابه

إنّ تعنّت الملحدين قبال الأديان وخصوصاً الدين الإسلامي يمكن أن يكون له أسباب مختلفة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية.

لكن قبل التعرض تفصيلاً لهذه الأسباب وتحليل كل منها على حدة، نرى من المهم التأكيد على أمرين:

الأمر الأول

إنّ اصطفاف الملحدين والمتديّنين ضد بعضهما البعض ليس هو بالأمر الجديد، فقد كان ذلك معروفاً من قبل الجانبين على مدى التاريخ وبطرق وأنحاء مختلفة.

وبناءً على هذا فينبغي الالتفات إلى أنّ هذا الاصطفاف لم يكن من جانب الملحدين فحسب، لكن يبدو أنّ صوت الملحدين اليوم قد ارتفع بأعلى مما كان عليه في السابق بسبب حصولهم على إمكانيات تخريبية تكنلوجية إعلامية وعسكرية.

الأمر الثاني

لا ينبغي أنْ يظن أنّ هذه الاصطفافات في جميع مواردها هي في قبال حقيقة الدين والإسلام، بل ربما كانت تلك المواقف ردود أفعال في قبال الفهم الخاطئ للدين أو الأسلوب الخاطئ في تعامل المتديّنين مع المجتمع حيث انعكس صورة سلبية في ذهنية الناس من الدين والتديّن والمتديّنين.

وفيما يلي نتعرض إلى بعض الأسباب لحركة الانحراف بنظرة خاصة إلى الدين الإسلامي باعتباره أشمل و أكمل الأديان الإلهية.

بعض الأسباب في ظهور ظاهرة الإلحاد

١. الأسباب السياسية

إنّ التجارب المرة لبعض الحكومات المنتسبة للدين على مدى التاريخ ومنها القرون الوسطى المسيحية في العالم وعهد الحكام الأمويين والعباسيين والعثمانيين والطالبانيين والحكومات الإسلامية في العالم الإسلامي التي كانت تحت

سلطة المتلبّسين بالدين، كذلك القوة العظمى في العالم وما صاحبها من النزاعات والحروب المذهبية والطائفية في داخل الأديان، قد حولت إلى ذريعة بأيدي الملحدين لكي يقوموا بعرض الدين كأطروحة فاشلة على المستوى العام على الأقل (السياسة والاجتماع) وتعميم هذا الفشل أحياناً إلى المستوى الخاص أيضاً ووصف الأديان بأنّها سبب العنف ونزف الدماء ودمار البشر والاختلافات والحروب بين الدول.

لا ينبغي أنْ يظن إنّ اصطفاف الملحدين ضد المتدينين في جميع مواردها هي في قبال حقيقة الدين والإسلام، بل ربما كانت تلك المواقف ردود أفعال في قبال الفهم الخاطئ للدين أو الأسلوب الخاطئ في تعامل المتديّنين مع المجتمع حيث انعكس صورة سلبية في ذهنية الناس من الدين والتديّن والمتديّنين

ولقد كان لظهور الجماعات السياسية المنحرفة والمنتسبة للإسلام والحركات السلفية التي قد تحمل أفكاراً منحرفة لكن متلبّسة بالدين وتقوم بالعمل باسم الدين أثر مهم في موجة التخويف من الإسلام والهجمات الإعلامية المكثفة ضد الإسلام.

٢. الأسباب الاجتماعية

إنّ توسع المجتمعات المدنية والحياة الحديثة قد أوجد حياة مجتمعية جديدة جعلت في قبال جنة الطبيعة التي ورد وصفها في القرآن والروايات الإسلامية، وقد أنجز ذلك إلى التقابل بدين الإسلام والحداثة، وقد بقي هذا التقابل قائماً رغم كل الجهود الفكرية للمثقفين المسلمين على مستوى التوفيق بين الإسلام والحداثة.

إنّ إخفاق المثقفين المسلمين في رفع هذا التقابل يعود إلى أنّهم في الغالب ينظرون إلى الإسلام من الإطار الحداثوي، بمعنى أنّهم يسلمون أولاً بحقانية الحداثة ومن ثم يحاولون تطبيق التعاليم الإسلامية على المثل الحداثوية، وهذا أمر خاطئ.

وقد تسبب هذا السعي العقيم بهم بالتالي إلى الذهاب للقول بوجوب إعادة النظر و العدول عن الإسلام.

فضلاً عن عدم الانسجام السلوكي الموجود في المجتمعات الإسلامية التي تحاول الحفاظ على المظاهر الإسلامية مع التلبس بروح الحداثة، أدى بالنتيجة إلى دعم الرأي الباطل الذي يقول إنّ الدين الإسلامي التقدمي هو دين رجعي! أو على الأقل لا ينفع المجتمع المعاصر.

إنّ هذه الرؤية الخاطئة تستند إلى قلب مفاهيم الألفاظ بحيث يعد أي انتقاد أو تشكيك في المثل الحداثوي مساوياً للرجعية والتخلف.

٣. الأسباب الاقتصادية

إنّ تبني الاقتصاد الرأسمالي (الكابيتاليسم) في الدول الإسلامية فتح الطريق أمام الاستعمار الحديث الذي يقوم بالتعرض إلى المعتقدات الإسلامية.

بحيث إنّ النفط باعتباره ثروة كبيرة موجودة في هذه الدول لم يصبح سبباً للتقدم - وليس هذا فحسب - بل إنّه صار سبباً في اعتماد المسلمين اقتصادياً على الدول الغربية، وذلك بمعونة شيوع ثقافة الاستهلاك والاقتصاد القائم على أساس الاستهلاك في المجتمعات الإسلامية.

فحين يستذوق المسلمون طعم المنتجات والتكنلوجيا الغربية فإنّهم سوف يستنتجون بالتدريج أنّ هذا النوع من الاقتصاد لا ينسجم مع الإسلام.

ولذلك فهم إمّا أن يتركوا هذا النوع من الاقتصاد ويحاولون التحرك نحو الاقتصاد القائم على أساس الانتاج، وإمّا أن يريحوا أنفسهم ويتركوا الإسلام ويخضعوا بشكل تام لسيطرة الغرب.

٤. الأسباب الثقافية

يمكن أن نذكر هنا أسباباً ثقافية مختلفة ومنها

القراءة السطحية للدين من قبل البعض، وينتج عن ذلك الدفاع السطحي والمتعصب عن الدين، أي فهم الدين بشكل خاطئ، كذلك الابتعاد بل المعاداة للمعارف الإسلامية الرفيعة من قبل هؤلاء المدعين للدفاع عن الدين، وقد أدى ذلك إلى فسح المجال أمام الامبراطوية الإعلامية الغربية لكي تقوم بتعظيم مكانة مثل هؤلاء الأشخاص وإتّهم هم الممثلون الرسميون للإسلام وبذلك تعرض مشوهة غير إنسانية وخرافية وغير عقلانية عن الإسلام والثقافة الإسلامية.

إن عدم فهم الدين بشكل صحيح، أو فهم الدين بالصورة السطحية إحدى أسباب تطور الالحاد، فضلاً عن القراءة السطحية للدين من قبل البعض، حيث أنتج الدفاع السطحي والمتعصب عن الدين، وهذا هو الابتعاد بل المعاداة للمعارف الإسلامية الرفيعة من قبل هؤلاء المدعين للدفاع عن الدين، وقد أدى ذلك إلى فسح المجال أمام الامبراطوية الإعلامية الغربية لكي تقوم بتعظيم الالحاد في أذهان الناس وجعلها أمام الإسلام والثقافة الإسلامية

حقيقة الإيمان في مقابل وهم الإلحاد

طرح الملحدون مجموعة من الشبهات ردّ عليها علماؤنا الأجلاء في كتبهم وبحوثهم، فمن الشبهات المثارة حول الدين من قبل الملحدين أو الحداثويين هو التشكيك بوجود الخالق لعدم الرؤية.

فقال الملحدون: لقد آمن بالله من آمن دون أن يراه بحس، ويتناوله بتجربة، وإنّما فرض وجوده ليُفسر به الكون ونظامه الحكيم الدقيق بعد العجز عن تفسيره بالعلم ومنطق الحس، زاعماً أنّ مثل هذا النظام الكوني لا يمكن أن يصنعه شيء إلا قوة خارقة فوق المادة والطبيعة.. وهذا مردود أولاً لأنّه إيمان بالغيب؛ وثانياً أنّ النظام الكوني تولد من نفس الكون لا من قوة خارجة عنه، وقد أودعت فيه النظام والانسجام كما يدعي المؤمنون ويُعرف هذا العليل بالتولد الذاتي والتفسير الميكانيكي.

حتمية الإيمان بالغيب

الجواب عن الاعتراض الأول

إنّ كل من آمن بشيء لم يره فقد آمن بالغيب، والمنكرون للقوة الخارقة المدبرة يعتقدون بوجود أشياء لا يمكن أن تنالها يد التجربة، ويستحي على الحس أن يصل إليها بأية وسيلة من الوسائل.

ومن ذلك على سبيل المثال الجاذبية في المادة، أو المغناطيس في الحديد، أو وجود إلكترون، أو ما يجري في العقل من تفكير واستنتاج، ويرتسم في الذهن من صور، ويختلج في القلب من ميول، ويرسخ فيه من إيمان.

وكيف تختزن الذاكرة المعلومات، وتحتفظ بها لوقت الحاجة.. وقد حيّر لغز الذاكرة العلماء بعد أن اكتشفوا أنّ في طاقتها أن تستوعب بلايين المعلومات، وأيضاً يعتقد الماديون بوجود الأثير الذي تألف منه الكون دون أن يقع تحت اختبارهم.

ومثله من زعم أنّ أصل الإنسان قرد.

هذا، إلاّ أنّ عالم الفلك يؤمن بوجود كوكب غائب عنه ويحدد مكانه من حركة كوكب آخر شاهده وراءه، والطبيب يكتشف نوع المرض من ظهور آثاره، والقاضي يحكم بالدماء والأموال من القرائن القضائية وغيرها دون أن يرى الجريمة ويشاهدها، وصاحب الحفريات يتحدث عن الأمم الماضية، والقرون الخالية من مشاهدة البقايا والحطام، وكل الناس يحكمون على الإنسان من خلال سلوكه دون أن يطلعوا على سريرته، بل ومن صفحات وجهه وفلتات لسانه، وأيضاً يؤمنون بصدق المحدث أو كذبه من طبيعة كلامه وسياق حديثه، بل اتفق العلماء والفلاسفة قولاً واحداً على أنّ الإنسان يستحيل عليه أن يُدرك

ذات الأشياء الموجودة في الكون وحقيقتها، وإنّ كل ما يعرفه عن أيّ شيء صغير وحقير هو صفاته وظواهره كل ذلك وغيره كثير إيمان بما لم تنله يد التجربة ولا يصل إليه الحس.

فإنّ الكون يزخر بالحقائق الخفية التي لا تُرى بالعين ذات الطاقة المحدودة، وما من عاقل على وجه الأرض إلاّ يؤمن بالعديد من هذه الحقائق، ويرى الإيمان بها من الضرورات الأولية التي لا مفر منها لأحد على الإطلاق.

إذن فبالأولى أن يكون الإيمان بالله ضرورياً بعد ظهور آثاره في خلقه الذي تعجز الأوهام والألسن عن وصفه.

وقال بعض الفلاسفة: (حد العقل أن ينتقل الإنسان من معلوم إلى مجهول، من شاهد إلى غائب، من حاضر إلى مستقبل لم يحضر بعد أمام البصر، أو إلى ماضٍ ذهب وانقضى ولم يعد مرئياً مشهوداً.. فإذا لم يكن ذلك فلا عقل).(تجديد الفكر العربي لزكي نجيب محمود)

ومعنى هذا أنّ من لا يؤمن بالله لا لشيء إلاّ لأنّه لم يره بالذات فلا عقل له، لأنّ مهمة العقل أن يرشدنا إلى ما لا يمكن إدراكه بالحس والتجربة، وأن يحذرنا مما تخبئه الأيام، وينفعنا برؤيته وموعظته.. والذكي اللامع هو الذي يفهم من الإشارة، ويدرك المغيبات من القرائن، ويؤمن بها حتى كأنّها مجسدة أمام عينيه.

وقال الشاعر:

الألمعي الذي يظن بك الظن

كأنّ قد رأى وقد سمعا

خطأ التفسير الميكانيكي للكون

الجواب على الاعتراض الثاني

إنّ المادّة جامدة عمياء لا روح فيها ولا شعور، ولا وعي ولا إدراك، فكيف نظمت نفسها بنفسها، وقدرت كل شيء في الكون تقديراً على سنن ثابتة ونواميس محكمة؟

لقد حاول الماديون أو الكثير منهم حل هذه المشكلة بفرض ضروري عندهم حدساً وتخرصاً، وهو أنّه في بداية ذي بدء وقبل أن يوجد الكون على وضعه الحالي كان هناك أثير ساكن راكد يملأ أطراف الفضاء.. ثم حدثت حركة قوية فجأة ومن باب الصدفة، واستمرت ملايين السنين، ومن هذه الحركة الدائبة وحتمية تطور المادة تألف هذا الكون الموجود الآن بأرضه وسمائه، وجماله وبهائه، وتخطيطه ونظامه وترتيبه وانسجامه.

فنسأل الملحدين: من أين جاء العلم بوجود هذا الأثير الذي سبق وجود الكون مع القطع واليقين بأنّه لم يقع تحت الحس ولا دلت عليه الآثار والقرائن؟ ولو سلمنا جدلاً بوجوده فمن الذين أوجده؟ ثم من الذي حرّكه؟ وهل الصدفة والحركة العشوائية الهوجاء تنتج هذا النظام البديع الشامل لأفلاكه وكواكبه وذراته ومجراته؟

وإذا وجد الكون بما فيه ومن فيه من باب الصدفة فلماذا لا يكون هذا الزعم صادراً عن غير قصد.. وكذلك قفز الإنسان إلى القمر، ووجود القرى والمدن، والمصانع والمعاهد، وجميع المخترعات، والأسفار والأشعار، كل ذلك وما إليه ما كان ويكون من باب الاتفاق والصدفة!

وكيف ننسب الكون ونظامه العجيب إلى الصدفة، ولا نترك لها نحن أتفه الأمور؟ ثم هل يسوغ لنا أن نذم ونعاقب من أساء وأجرم، ونمدح ونثيب من أحسن وأنعم، ونحن نؤمن بنظرية الاحتمال وقانون الصدفة؟

وهل يقبل العاقل الخبير العليم أن عقله وشعوره تولدا من مادة لا عقل لها ولا شعور، وأنّ سمعه وبصره أوجدهما ما لا يسمع ولا يبصر؟ وأيضاً هل يقبل عقل عاقل أن بصمات الأصابع وملامح الوجوه وروائح الأجسام قد اختلفت بين الملايين من أبناء البشر، هل يقبل العقل أن كل ذلك حدث لمجرد الصدفة؟

* شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية/ عن مصادر بتصرف

وجود الخالق أصلح من وجود الطبيعة

التشكيك في وجود الخالق أو الإله أصبح لعبة بين الأطفال، إذ كل من جاء مال إلى التشكيك في وجود الخالق، إمّا أنّه يبحث عن مهربٍ من الالتزام بالقوانين والضوابط سواء كانت إسلامية أو غيرها والحصول على الحرية كما يعبّر عنها البعض في الحياة لكي يفعل ما يحلو له.

وإمّـا للحصول على منافع ومصالح خاصة به يـتـعـارض مـع الـتـشـريع الإسلامي والقوانين الإلهية.

فقاموا بـإيـراد الأسئلة السخيفة للتشكيك في الدين منها:

س: لقد تم إثبات وجوب أولوية خالق، وتم بيان ذلك، لكن ما وجه الحكمة على أولوية وترجيح الإلـه على الطبيعة؟

ج: لا شك في أنّ وجود الله أصلح من وجود الطبيعة، وذلك لحكمته تعالى، وكماله وعدم شعور الطبيعة فضلاً عن حكمتها وكمالها.. ويكفي ما يشاهده الإنسان من عجائب ويكتشف قدرته في مخلوقاته سبحانه، ويتأمل في الكون بما فيه من إنسان، ونبات، وحيوان، وبحار.

وأبسط الأمور تدل على حكمته، في أبسط مخلوقاته.

فإذا تأملت حياتك فسوف ترى الأنثى ترضع طفلها من ثدييها بواسطة الحلمة التي يتدفق منها اللبن، ويتخللها ثقـب، أو عدة ثقوب صغيرة.

> وتـأمّـل الحكمة فـي خلقة أسنان الطفل وغذائه، فعند لين عظامه يتغذى على اللبن، ولكنه لما يشتد عظمه يحتاج إلى أسنان يستعين بها على هضم الطعام الصلب

بحيث يخرج اللبن بتوازن بمقدار الحاجة، فلا ينصب صباً، فما وجدنا امرأة قط قد عانت في رضاعها من انـغـلاق فـي مجرى حلمة الثدي بحيث يتعسّر خروج الحليب إلى فم الرضيع.

بينما نـلاحـظ ذلـك في حياتنا اليومية، فيما إذا كانت المرأة تستعمل الحليب الصناعي في الرضّاعة، وتناوله للطفل بواسطة قنينة

أو ما يسمّى بالـ(الممّة)، وهي قنّينة تحوي برأسها صماماً له فتحة يخرج منه اللبن؛ وهذا الصمام قد يكون مسدوداً، فنثقبه، وقد يكون مفتوحاً.

فمرة تراه مسدوداً لا يخرج منه اللبن، ومرة تراه مفتوحاً بصورة بحيث يتسرب منه اللبن بغزارة.

ولو كانت المرأة من خلق الطبيعة، لوجدنا امرأة يخرج منها اللبن بتدفق، أو أنّ حلمتها مسدودة، ولا يخرج من ثدييها شيء، كما يحصل في الثدي الصناعي، ولكان خلقها عشوائياً، وهذا مثال من آلاف الأمثلة بل إلى ما شاء الله.

كما نلاحظ في صناعة المكائن التي تصب، ونرى في الإنتاج عيوباً كالانسداد، أو توسع الفتحة، فمن هنا يجب علينا إرجاع الأشياء لأصولها، وخالقها ومدبرها.

كذلك الإنسان، عندما يخدّر جسمه لإجراء عملية، تخديراً عاماً، فيتخدّر بأجمعه ما عدا بصيلة الدماغ المسؤولة عن التنفس اللاإرادي للإنسان، ولو تخدّر الإنسان كله لتخدّر قلبه ومات.

وتأمّل أيّها السائل حياة الطفل ومكوّنات جسمه، فلو خلق متعقلاً، لما كان اجتماعياً، ولم يألف عائلته وأخته لكونه معزولاً عن أسرته ولم يرتبط بهم، ولم يتعايش معهم، وإنما حصر بينهم للترابط، ولحكمة لا تستطيع الطبيعة تعقلها.

وتأمّل الحكمة في خلقة أسنان الطفل وغذائه، فعند لين عظامه يتغذى على اللبن، ولكنه لما يشتد عظمه يحتاج إلى أسنان يستعين بها على هضم الطعام الصلب.

فلو كانت الطبيعة خالقة للزم من أحدنا انتظار ظهور أسنانه لاجل أن يأكل بواسطتها.

وكذا المرأة، عند الطلق يخرج وليدها بعد تمامه بلا نقصان.

كذلك نرى الموازنة في تكامل الأعضاء؛ فعندما تلجأه الطبيعة إلى التبول يخرج منه البول بانبساط وانكماش فيحس بحاجته لذلك، وكذا الإفرازات الأخرى.

ويعضد قولنا تناول السيد عبد الله شبّر في كتابه حق اليقين (وفكّر في الأعضاء التي خلقت زوجاً وفرداً فإنّ الرأس مثلاً لو كان زوجاً لكان كلاًّ على الإنسان لا فائدة فيه بخلاف اليدين والرجلين والعينين ونحوها وكان حكم تعددها لا يخفى...).(حق اليقين:١/٤٣)

ولـم نجد زيـادة في الجسم من وجـود تعدد في الأعضاء كوجود رأسين كما بينا، أو ثلاث أرجل، لعدم حاجته لها، ولا نجد نقصاناً بعضو من الأعضاء كإنسان مخلوق برجل واحدة، أو يد، أو عين واحتياجه لأخرى.

ولاحظ تركيب الجسم فلا نرى الأنف مفتوحاً للأعلى، لكيلا يدخل عليه الماء، وأشياء أخـرى، لا تستطيع معامل كبرى أن تعمل عمل أصغر غدة في جسم الإنسان، أبسطها عمل الكلى في جسم الإنسان، فإنّ الأطباء اكتشفوا أنّ الكلى في جسم الإنسان تعمل ما يعادل خمسين معملاً صناعياً، في آن واحد.

وتأمل الحيوان، فالجمل يسير في الصحراء بدون مخالب، ولو كان من خلق الطبيعة لوجدنا فيه عبثاً، كأن تظهر له مخالب مثلاً كالأسد، فهل علمت الطبيعة بعدم حاجته للافتراس؟ فما هو جانب عظمة الخلق؟

ولاحـظ الـحـيـوانـات الـوحـشـيـة بـلا وعـي، ولـو أعطيت الـذهـن لهاجمت الـبـشـر، وتـرى أصـنـاف الماشية ليس لها يدان كالإنسان تتناول بهما ما تحتاجه من العلف، فخلق فمها للأسفل ليسهل عليها ما تتناوله من المرعى.

واصغ إلى قوله في حق اليقين (وانظر إلى قوائم

> **ولاحظ تركيب الجسم فلا نرى الأنف مفتوحا للأعلى، لكيلا يدخل عليه الماء، وأشياء أخرى، لا تستطيع معامل كبرى أن تعمل عمل أصغر غدة في جسم الإنسان، أبسطها عمل الكلى في جسم الإنسان**

الحيوان كيف جعلت أزواجاً ليتهيأ للمشي ولو كانت أزواجاً لم تصلح لذلك، فذو القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على الأخرى، وذوي الأربع ينقل اثنتين ويعتمد على اثنتين دون خلاف، بأن ينقل اليمنى من مقاديمه مع اليسرى من مآخيره ويثبت الآخرين ليثبت على الأرض، ولو نقل القائمتين من أحد جانبيه واعتمد على الباقيتين من الجانب الآخر لما ثبت...).(حق اليقين:١/٤٥)

وجعل لها الصوف بعكس الإنسان الذي ينسج بيده كما بينه السيد بقوله (ثم هذه الكسوة من شعر ووبر وصوف ليقيها من الحر والبرد ومن الأظلاف والحوافر لتقيها من الحفا، إذا كان لا أيدي لها ولا أكف ولا ملابس مهيأة للغزل والنسج فجعلت كسوتهم في خلقتهم بانية عليهم ما بقوا...).(حق اليقين:١/٤٦)

فهل تعلم الطبيعة ذلك، لتكون هي تهيأ له، وتطلّع إلى النبات حيث نلاحظ النخلة الواحدة تسقى من ماء واحد، وثمرة واحدة، فيها أنواع مختلفة من التمور.

وهاك نوعاً آخر من فصيلة الحمضيات، كالعنب لما نلمس فيه من دقة التوزيع في سيقان هيكله وروعة نظام التغذية فيها، مما يدل على أنّه خاضع لرقيب عتيد، لا لطبيعة حمقاء كما يبدو ذلك واضحاً، كاختلاف كيفيات حبات العنقود الواحد.

وكذلك الاختلاف في تعدد الألوان من بيضاء إلى حمراء، ومن حيث الأحجام، فواحدة كبيرة، وأخرى صغيرة، واختلاف المذاق فيها، فمن حامض إلى حلو؛ وتسقى جميعها من ماء واحد، وأرض واحدة، وشجرة واحدة.

وفكّر في الأعضاء التي خلقت زوجاً وفرداً فان الرأس مثلاً لو كان زوجاً لكان كلاًّ على الإنسان لا فائدة فيه بخلاف اليدين والرجلين والعينين ونحوها وكان حكم تعددها لا يخفى

ولو تأملنا البحر نجده ينجمد بدرجة حرارة معينة منخفضة يتجمد ظاهر الماء، ويبقى قاعه بالأسفل غير منجمد.

لكي تبقى حياة الحيوانات والأسماك التي تعيش في قيعانه، فهل علمت الطبيعة بوجود الأسماك تحته، فخافت موتها من الانجماد، أم أنّ الله أعطاها بحكمته وقدرته ما تحتاجه، بهذه العظمة، وكمال المعرفة، وقدرته وحكمته.

ما لكم كيف تحكمون.

بقلم: مالك مهدي السويعدي

سورة الحمد وعظمتها

اهتمّ القرآن الكريم بسورة الحمد اهتماماً خاصاً، حيث جعلها عدلاً لباقي القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيم﴾.[الحجر:٨٧]

والمراد من (السبع المثاني) كما جاء في عدد من الروايات المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة أهل البيت عليهم السلام هي سورة الحمد.

لذا ورد التأكيد في روايات الفريقين أنّها أفضل سورة نزلت على قلب محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

فعن علي عليه السلام قال: «...سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} فَأَفْرَدَ الامْتِنَانَ عَلَيَّ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَجَعَلَهَا بِإِزَاءِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَإِنَّ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ أَشْرَفُ مَا فِي كُنُوزِ الْعَرْشِ وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَصَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وَشَرَّفَهُ بِهَا وَلَمْ يُشْرِكْ مَعَهُ فِيهَا أَحَداً مِنْ أَنْبِيَائِهِ...».(عيون أخبار الرضا عليه السلام:٣٠٢/١،ح٦٠)

وعن الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام في حديث طويل قال: «جَاءَ نَفَرٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فَسَأَلَهُ أَعْلَمُهُمْ عَنْ أَشْيَاءَ فَكَانَ فِيمَا سَأَلَهُ أَخْبِرْنَا عَنْ سَبْعِ خِصالٍ أَعْطَاكَ اللهُ مِنْ بَيْنِ النَّبِيِّينَ وَأَعْطَى أُمَّتَكَ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ: أَعْطَانِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَالْأَذَانَ وَالْجَمَاعَةَ فِي الْمَسْجِدِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالصلَاةَ عَلَى الْجَنَائِزِ وَالإِجْهَارَ فِي ثَلَاثِ صَلَوَاتٍ وَالرُّخْصَةَ لِأُمَّتِي عِنْدَ الْأَمْرَاضِ وَالسَّفَرِ وَالشَّفَاعَةَ لِأَصْحَابِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي...».(الخصال:٣٥٥/٢)

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري أنّه قال: «أَلَا أُعَلِّمُكَ أَفْضَلَ سُورَةٍ أَنْزَلَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ؟»، قلت: بَلَى بأبي أنت وأمي يا رسول الله عَلِّمْنِيهَا، فَعَلَّمَهُ (الْحَمْدَ)، ثُمَّ قَالَ: «هِيَ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلاَّ السَّامَ، وَالسَّامُ الْمَوْتُ».(هداية الأمة إلى أحكام الأئمة:٨٠/٣)

وأخرج الدارمي والترمذي وحسّنه النسائي وعبد الله ابن أحمد بن حنبل في زوائد المسند، وابن الضريس في (فضائل القرآن)، وابن جرير وابن خزيمة والحاكم، وصحّحه من طريق العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن أبيّ بن كعب قال: (قال رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم: «ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثل أمّ القرآن، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيت»).(الدر المنثور:١٣/١)

وأخرج مسلم والنسائي وابن حبّان والحاكم عن ابن عباس قال: (بينما رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم جالس وعنده جبريل إذ سمع نقيضاً من السماء من فوق، فرفع جبرئيل بصره إلى السماء فقال: «يا محمّد هذا ملك قد نزل لم ينزل إلى الأرض قطّ»، قال: فأتى النبي صلى الله عليه - وآله - وسلم فسلّم عليه فقال: أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبيّ قبلك؛ فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة).(الدر المنثور:١٤/١)

وأخرج أبو الشيخ في الثواب والطبراني وابن مردويه والديلمي والضياء المقدسي في المختارة عن أبي أمامة قال: (قال رسول الله صلى الله - وآله - وسلم: «أربع أنزلن من كنز تحت العرش لم ينزل منه شيء غيرهن: أمّ الكتاب وآية الكرسي وخواتيم سورة البقرة والكوثر»).(الدر المنثور:١٦/١)

بل نجد في جملة من روايات الفريقين أنّها فضّلت على جميع القرآن.

أخرج أبو نعيم والديلمي عن أبي الدرداء قال: (قال رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم: «فاتحة الكتاب تجزي ما لا يجزي شيء من القرآن، ولو أنّ فاتحة الكتاب جُعلت في كفّة الميزان وجُعل القرآن في الكفّة الأخرى، لفضّلت فاتحة الكتاب على القرآن سبع مرّات»).(جامع أحاديث الشيعة:٨٩/١٥، ح٢٢٤. الدر المنثور:١٧/١)

* السيد محمد الهاشمي

مفهوم إطاعة السلطان الجائر.. التزوير والتحريف

لقد اكتشفت السلطة وطلابها مبكراً دور الدين في الحياة الاجتماعية وقدرته الهائلة على التأثير الجماهيري، وغدا واضحاً أنّ كل محاولات إقصاء الدين عن واقع الحياة أو تصنيفه كمخدرٍ للشعوب لم تؤت أكلها ولم تشكّل تنكّراً لهذا الدور بقدر ما هي اعتراف صريح به، وقد أغرت جاذبية الدين هذه وسلطانه المعنوي على النفوس طلاب السلطة فعملوا على استغلاله والتستر بشعاراته وتوظيف مقولاته واستثمارها بما يخدم مصالحهم، بل لم تتوان العقلية السلطوية عن إلباس السلطان لبوس الإله، لتضفي عليه - أي السلطان - قدسية تحول دون الجرأة على معارضته أو التمرد عليه، بحجة أنّ ذلك يستوجب النقمة والغضب الإلهي ويستنزل العذاب!

فإنّ ما هدفت إليه هذه المحاولات السلطوية هو تطويع الأمة بسلاح الدين لإرادة السلطان، وتطويع الدين ومقولاته بما يخدم مصالح السلطة ومآربها.

ولئن منيت السلطة بفشل ذريع وعجز كبير عن احتواء الأنبياء والرسل، فإنّها لم تفشل في احتواء الكثير من أتباعهم، ولعل أقسى ضربة أصابت المؤسسة الدينية في كل تاريخها هو محاولة تدجينها من قبل السلطة، ليغدو (رجل الدين) كاهناً أو فقيهاً موظفاً في

بلاط السلطان سائراً في ركابه، مع أنّ دوره الطبيعي هو رصد سلوك السلطة والعمل على تقويمها وإرشادها وتصحيح انحرافها.

مواجهة الدين بالدين

وكما لم تفشل السلطة في استيعاب المؤسسة الدينية، فإنّها لم تفشل في تحريف تعاليم الدين وتشويه مبادئه، ولا شكّ أنّ أخطر تهديد واجه الدين هو محاولات تحريفه التي اضطلعت بها أو أسهمت فيها الهيئة الحاكمة، عندما أدركت أنّ مواجهة الدين بالحرب العلنية والمباشرة هي مجازفة غير مضمونة النتائج، فاستعاضت عن ذلك بالمواجهة الخفية، أي مواجهة الدين بالدين من خلال التستر بشعارات الدين نفسه وارتداء عباءته والانقلاب عليه من الداخل.

إنّ هذا الاختراق الذي سجّلته السلطة على حساب الدين لم يقتصر على دين دون سواه، بل شمل كل (الأديان) والشرائع السماوية، بما في ذلك الإسلام.

والحديث عن دور السلطة السياسية ومحاولاتها تشويه الإسلام وتحريف تعاليمه ومفاهيمه الإصلاحية، والانقلاب على كل الإرث الرسالي لا ينبغي أن يستفز أحداً فهو واقع ولا مجال لإنكاره، وهل ينكرنّ أحد أنّ السلطة في الإسلام استطاعت أن تميت فرقاً كلامية أو فقهية وتحيي أخرى، وأنّها أغلقت باب الاجتهاد.

أجل إنّ علينا متابعة رصدية لآثار ذلك وتداعياته على واقع الأمّة؛ لأنّ تعرض المنظومة المفاهيمية والعقدية تحديداً لأيّة أمة للتزوير أو التحريف له تأثير مباشر على دور الأمّة التاريخي وموقعها الحضاري.

لا شكّ إذن في أنّ الكسروية الإسلامية استطاعت تزوير جملة من المفاهيم الإسلامية وتحريف البعض الآخر منها بطريقة التفافية ذكية جانبت المواجهة المباشرة التي تجعلها في صدام مع الرأي العام وتعرّيها أمامه، فلجأت إلى التزوير والتلاعب في التفسير مع إيجاد (مظلة شرعية) و(غطاء ديني) بمؤازرة جملة من وعاظ السلاطين وفقهاء البلاط.

المفاهيم المزوّرة

من هذه المفاهيم المزوّرة أو التي طالها التزوير هو مفهوم السلطة نفسها، فقد تمّ إعطاؤه طابعاً غيبياً وإضفاء هالة من القداسة المصطنعة عليه، في اعتبار السلطان ممثلاً للرب على الأرض، فهو يد الله وظله، وصفاته هي عين صفات الله، فالله هو الملك والسلطان كذلك، والله صاحب الجلالة وهو كذلك، وإطاعته من إطاعة الله، ومعصيته من معصيته، ولا يكتمل التضليل إلاّ بإيجاد سند ديني لهذا المفهوم.

فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «السلطان ظل الله على الأرض...».(كنز العمال:٦/٤)

لكن هذا الحديث على فرض صحته وتجاوز ما قيل عن ضعفه - راجع كشف الخفاء للعجلوني:١/٢١٣ في هذا الخصوص - فهو يرمي إلى ضرورة تخلّق السلطان بأخلاق الله، بتجسيد مبادئ العدل في الرعية واللطف بهم، بعيداً عن التعسّف والجور، وهو ما جاء في رواية أخرى لهذا الحديث: «السلطان العادل المتواضع ظل الله ورمحه في الأرض».(كشف الخفاء للعجلوني:١/٤٥٦)

ومع صرف النظر عن ذلك، فإنّ الذي جرى أنّه قد أسيئ فهم الحديث وتطبيقه، وفسّر بشكل مغاير لمفاده ومراده، فأعطيت السلطة - وفق التفسير المزور - بعداً غيبياً ربانياً يغدو الناس أمامها في موقع العبيد أمام سيدهم ومالكهم والمنعم عليهم، فإنْ تفضّل عليهم بشيء فمن منّه وكرمه، وإنْ أمسك ومنع فمن حقّه.

> إنّ الوقوف بوجه السلطان الجائر ومعارضته بالفعل والقول هو خطّ رسول الله ومنهجه

ويبدو أنّ هذا المقدار لم يلبّ كل طموحات السلطة الكسروية الجائرة، باعتبار أنّ التفسير المذكور قد لا ينطلي على الكثيرين الذين سيرون تنافياً واضحاً وعدم انسجام بين ظلّيّة السلطان لله سبحانه وبين انغماسه في الشهوات وظلمه للعباد، ولذا ابتدع العقل الكسروي فكرة جديدة تبرر له انغماسه في الشهوات واستبداده بالسلطة، وهي فكرة (إطاعة السلطان ولو كان فاسقاً جائراً)، وتمّ إسناد هذه الفكرة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع...».(صحيح مسلم:٦/٢٠)

والأمر الأكيد أنّ هذا المفهوم كان له تداعيات خطيرة على مستوى الأمة؛ لأنّه استطاع تخديرها وشل إرادتها وقمع روح التغيير والإصلاح فيها، كما أنّه أسهم في إنتاج الفكر الاستبدادي، بما مهّد لقمع المعارضة، بل ومنع من تشكّل الفكر المعارض النقدي؛ لأنّ أيّة نواة للمعارضة كان يتم استئصالها (بحجة شرعية) وهي (وجوب إطاعة السلطان).

ولذا لم يشهد تاريخنا الإسلامي حركة معارضة جدية، باستثناء ما جرى في عهد الإمام علي عليه السلام عندما سمح للرأي الآخر أن يعبّر عن نفسه بحرية، من خلال حركة معارضة جريئة هي حركة الخوارج التي لم تتوان عن تكفير الإمام نفسه دون أن يقمعها أو يواجهها أو ينتقص من حقوقها، إلاّ بعد أن تحوّلت إلى حركة انشقاق وأخلّت بالأمن العام للأمة، حيث قيل لهم (كونوا حيث شئتم وبيننا وبينكم أن لا تسفكوا دماً حراماً ولا تقطعوا سبيلاً ولا تظلموا أحداً).(سبل السلام للكحلاني:٣/٢٥٨)

مفهوم إطاعة السلطان على طاولة النقد

إنّ مفهوم إطاعة السلطان ولو كان جائراً هو مفهوم مزوّر وغير دقيق على الرغم من وجود بعض المنظرين والمروجين له، من أمثال عبد الله بن عمر.

فقد روى أنّه جاء إلى عبد الله بن مطيع وهو ممّن ثار على يزيد بعد وقعة الحرّة الفظيعة التي أباح فيها يزيد المدينة ثلاثة أيام لجيشه وقتل فيها آلاف المسلمين وانتهكت أعراضهم وأراد ابن مطيع تكريم عبد الله بن عمر، فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال: إنّي لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدّثك حديثاً سمعت رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم يقول: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجّة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية».(صحيح مسلم:٣/١٤٧٨)

إنّ هذا المفهوم لا يتوافق مع المنطق القرآني الذي نهى في العديد من آياته عن إطاعة الظالمين والفاسقين وأهل الإثم والفساد، قال تعالى: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِياءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾.[هود:١١٣]

وقال أيضاً: ﴿... وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ﴾.[الشعراء:١٥١-١٥٢]

قال الإمام الحسين عليه السلام: «إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ وَعَلَى الإِسْلامِ السَّلامُ إِذْ قَدْ بُلِيَتِ الأُمَّةُ بِرَاعٍ مِثْلِ يَزِيد»

وهكذا فإنّ المستفاد من هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّ وظيفة الأمة تقويم السلطان إذا أخطأ، وإصلاح أمره، ورفض انحرافه وظلمه، وضرورة مواجهته بالحق، فإنّ «أفضل الجهاد كلمة عدل أو حق عند سلطان جائر».(سنن أبي داوود:٢/٣٢٥)

وهكذا رأينا أنّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام ترفض هذه الفكرة رفضاً قاطعاً وتعتبر أنّ عدالة الحاكم هي المسوّغ الشرعي لبقائه في الحكم،

وبفقدها يفقد شرعيته، وهذا ما يُستفاد من الكتاب الكريم في قوله تعالى: ﴿...لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِين﴾. [البقرة:١٢٤]

ومن سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: «لا تصلح الإمامة إلا لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله، حلم يملك به غضبه، وحسن الولاية على من يلي...».(الكافي الشريف:٤٠٧/١)

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال: «إنّما هلك الناس حين ساووا بين أئمة الهدى وأئمة الكفر فقالوا: إنّ الطاعة مُفترضة لكل من قام مقام النبي صلى الله عليه وآله برأ أو فاجراً، فأتوا من قبل ذلك، قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُون﴾ (القلم:٣٥-٣٦).(المحكم والمتشابه:٧١)

وقد ركّز الإمام الحسن عليه السلام على هذا المبدأ، فقال في خطبة له بمحضر معاوية: «إنّما الخليفة من سار بكتاب الله وسُنّة نبيّه وليس الخليفة من سار بالجوار».(مقاتل الطالبيين:٤٧)

وأمّا الإمام الحسين عليه السلام فإنّه جسّد هذا المبدأ - أعني عدم جواز الخضوع للسلطان الجائر - بفعله قبل قوله، فإنّ ثورته بوجه يزيد واختياره الشهادة على البيعة هو خير برهان على رفض الإسلام شرعية السلطان الجائر وضرورة الخروج عليه، كما إنّه عليه السلام ركّز على هذا الأمر في كل مراحل ثورته، ففي كتابه إلى أهل الكوفة يقول عليه السلام: «فَلَعَمْرِي مَا الإِمَامُ إِلاَّ الْحَاكِمُ بِالْكِتَابِ الْقَائِمُ بِالْقِسْطِ الدَّائِنُ بِدِينِ الْحَقِّ الْحَابِسُ نَفْسَهُ عَلَى ذَاتِ اللهِ وَالسَّلاَمُ».(الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد:٣٩/٢)

وفي خطابه لأمير المدينة حين دعاه إلى بيعة يزيد قال عليه السلام: «...أَيُّهَا الأَمِيرُ إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَعْدِنُ الرِّسَالَةِ وَمُخْتَلَفُ الْمَلاَئِكَةِ وَبِنَا فَتَحَ اللهُ وَبِنَا خَتَمَ اللهُ وَيَزِيدُ رَجُلٌ فَاسِقٌ شَارِبُ الْخَمْرِ قَاتِلُ النَّفْسِ الْمُحَرَّمَةِ مُعْلِنٌ بِالْفِسْقِ وَمِثْلِي لاَ يُبَايِعُ مِثْلَه».(اللهوف على قتلى الطفوف:٢٣)

ولنتأمّل جيداً قوله عليه السلام: «ومثلي لا يبايع مثله»، فإنّنا نستفيد منه أنّ القضية عند الحسين عليه السلام ليست قضية شخصية، ولذا لم يقل وأنا لا أبايعه، وإنّما قال «ومثلي»، ما يوحي بأنّ كلّ من كان على نهج وخط الحسين عليه السلام وهو خط الإسلام لا يمكن أن يبايع «مثله»، أي متّصفاً بصفات يزيد، ونحو ذلك قوله عليه السلام: «إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ وَعَلَى الإِسْلاَمِ السَّلاَمُ إِذْ قَدْ بُلِيَتِ الأُمَّةُ بِرَاعٍ مِثْلِ يَزِيد». (اللهوف على قتلى الطفوف:٢٤)

إنّ مفهوم إطاعة السلطان ولو كان جائراً هو مفهوم مزوّر وغير دقيق على الرغم من وجود بعض المنظرين والمروجين له

ومن أهم كلمات الإمام عليه السلام وأوضحها في هذا المجال ما ذكره في كتابه إلى أشراف الكوفة: «من رأى منكم سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهده، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، ثم لم يغيّره بقول ولا فعل كان حقيقاً على الله أن يدخله مدخله، وقد علمتم أنّ هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان وتولوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وإنّي أحقّ بهذا الأمر».(بحار الأنوار:٣٨٢/٤٤)

فهذا النص صريح في أنّ الوقوف بوجه السلطان الجائر ومعارضته بالفعل والقول هو خطّ رسول الله ومنهجه، وعليه فكل ما ينسب إليه عليه السلام وأنّه نهى عن الخروج على السلطان الجائر، ولزوم إطاعته أو نحو ذلك، هو إمّا كلام مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وآله، أو أنّه ناظر إلى صورة ما إذا كان النهوض غير مُجدٍ، أو كانت الأولوية لرصّ الصفوف الداخلية في مواجهة أخطار الخارج التي تحدث بالإسلام والمسلمين، وذلك على قاعدة أمير المؤمنين عليه السلام: «لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين».(نهج البلاغة:١٢٤/١)

ارتدادات المفهوم

على الرغم من سلبيات المفهوم المشار إليه حول ظلّية الحاكم لله، فإنّه إلى الآن لم يُفنّد أو يرفض، بل لا

تزال امتداداته مستمرّة وارتداداته قائمة، فالحكم في بلاد المسلمين ما زال حكراً على (العائلات المالكة) والحكومات المستبدّة، وما فتئ وعاظ السلاطين ينظّرون لثقافة التسليم والانقياد لأولياء الأمور والرضوخ لهم والدعاء بأن يمدّ الله في أعمارهم، وإنّها لدلالة ذات مغزى أن تجد قواميسنا السياسة والدبلوماسية ملأى بألقاب الجلالة والفخامة والعظمة والسمو والمعالي وألفاظ الاسترحام والاستعطاف وما إلى ذلك، مما قد لا تجده في لغة أخرى، كما أنّ آداب التخاطب والتعارف مع السلطان تأخذ طابع الانحناء والخضوع وتقبيل الأيدي وربّما الأرجل، هذا مع أنّ صفات العظمة والكبرياء التي يسبغها هؤلاء الحكام على أنفسهم أو نسبغها عليهم لا نرى لها ترجمة عملية في مواجهة أعداء الأمّة ومغتصبي أرضها، وإنّما تتم ترجمتها ونرى آثارها في مواجهة أبناء الأمّة، ما يذكّرنا بما قاله بعض الشعراء في وصف أمراء الأندلس وحكّامها:

مما يزهدني في أرض أندلس
أسماء معتصم فيها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها
كالهرّ يحكي انتفاخاً صولة الأسد

(سير أعلام النبلاء:١٧/١٤٤)

إنّ القصة هي قصة هذا الإدمان على العبودية والرقّية ممّا لا نجد تفسيراً له إلاّ في ثقافة الاستعباد التي تمّ إدخالها في تكوين شخصية المسلم، وتركت بصماتها في اللاوعي لديه، ولذا تمّ التعامل مع الفقيه عندما اعتلى عرش السلطة بالطريقة نفسها والآداب والرسوم عينها التي يتعامل بها مع السلطان من تقديم فروض الطاعة والاحترام له، إلى إسباغ الهالة القدسية عليه، بما يمنع من مناقشته ونقده، في استبعاد واضح لكل المنطق الإسلامي باعتبار الحاكم - كما المحكوم - تحت سقف القانون والمساءلة، وفي الدعوة إلى قيام الأمة بدور النقد والتسديد والرقابة المستمرة لتصرفات الحاكم.

> قال الإمام الحسين عليه السلام: «أَيُهَا الأَمِيرُ إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَعْدِنُ الرِّسَالَةِ وَمُخْتَلَفُ الْمَلاَئِكَةِ وَبِنَا فَتَحَ اللهُ وَبِنَا خَتَمَ اللهُ وَيَزِيدُ رَجُلٌ فَاسِقٌ شَارِبُ الْخَمْرِ قَاتِلُ النَّفْسِ الْمُحَرَّمَةِ مُعْلِنٌ بِالْفِسْقِ وَمِثْلِي لاَ يُبَايِعُ بِمِثْلِه»

علي عليه السلام في مواجهة الظالمين

وقد قدّم الإمام علي عليه السلام مثلاً أعلى في هذا المقام، فإنّه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله أضفى على السلطة بعداً إنسانياً شعبياً، نازعاً عنها هالة القداسة والغيبية، ووضع الحدود الفاصلة بين السلطة الظالمة والسلطة الشعبية، قال عليه السلام: «فَلاَ تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ وَلاَ تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ وَلاَ تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ وَلاَ تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالاً فِي حَقٍّ قِيلَ لِي وَلاَ الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي لِمَا لاَ يَصلُحُ لِي فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ فَلاَ تَكُفُّوا عَنِّي مَقَالَةً بِحَقٍّ أَوْ مَشُورَةً بِعَدْلِ...».(الكافي الشريف:٨/٣٥٦)

إنّ السلطة التي ينشدها علي عليه السلام وفق النص المذكور تختلف عن النهج الكسروي في الحكم بعدة أمور:

١. على مستوى الخطاب «فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة» فلا تبجيل ولا تعظيم ولا مبالغة في مخاطبة الحاكم، خلافاً لما هو الحال في النهج الكسروي.

٢. على المستوى النفسي «ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة» أمّا في النهج الكسروي، فإنّ الخوف يتملك المرء عند مواجهة السلطان، فيتحفظ ويحترز كثيراً في أقواله وأفعاله، خشية أن يبطش به ويناله منه الضرر.

٣. على مستوى آداب التعامل «ولا تخالطوني بالمصانعة» فلا تزلف ولا تصنع خلافاً للنهج الكسروي في الحكم، فإنّ الممالأة والمصانعة هي أسلوب التعامل مع السلطان.

٤. على مستوى النقد والمحاسبة، «ولا تظنوا بي استثقالاً في حقّ قيل لي... فلا تكفّوا عني مقالة بحقّ أو مشورة بعدل»، فالنقد والمشورة حق للأمة في منظار علي، أمّا النهج الكسروي فإنّه يصادر هذا الحق، ويعتبر النقد تطاولاً وتجريحاً ومساً بكرامة الحاكم.

بقلم: الشيخ حسين الخشن

لولا أهل البيت عليهم السلام ما عُبد الله تعالى

يقول المدعو (الشيخ أكرم الماجد ومن يتبع رأيه) إنّ القول بأنّ معرفة الله تنحصر بأهل البيت عليهم السلام يفضي إلى القول بالغل (قالت اليهود يد الله مغلولة) وإنّ معرفة الله مفتوحة لكل أحد حتّى بدون توسط أهل البيت عليهم السلام, وإنّ الوسيلة إلى الله لا تنحصر بنبي أو إمام.

بداية نقول:

إنّ معرفة الله تعالى لها مستويان لا مستوى واحد.

المستوى الأول هو المعرفة الفطرية الأوّلية التي جبل الخلق على إدراكها, وهذه يشترك فيها كل خلق الله حتى إبليس فهو يعرف الله.

وعلى هذه المعرفة أدلة كثيرة من أهل البيت عليهم السلام منها ما يلي:

١. قال الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام: «...بِكَ عَرَفْتُكَ وَأَنْتَ دَلَلْتَنِي عَلَيْكَ وَدَعَوْتَنِي إِلَيْكَ وَلَوْ لاَ أَنْتَ لَمْ أَدْرِ مَا أَنْت...».(إقبال الأعمال:٦٧/١)

٢. قال الإمام السجاد عليه السلام أيضاً: «...إِلَهِي وَسَيِّدِي بِكَ عَرَفْتُكَ وَبِكَ اهْتَدَيْتُ إِلَى سَبِيلِكَ وَأَنْتَ دَلِيلٌ عَلَى مَعْرِفَتِكَ وَلَوْ لاَ أَنْتَ مَا عَرَفْتُ تَوْحِيدَكَ وَلاَ عَرَفْتُ وَلاَ اهْتَدَيْتُ إِلَى عِبَادَتِك...».(إقبال الأعمال:١٤٩/١)

٣. عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: اعْرِفُوا اللهَ بِاللهِ وَالرَّسُولَ بِالرِّسَالَةِ وَأُولِي الأَمْرِ بِالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ».(الكافي الشريف:٨٥/١)

٤. عن منصور ابن حازم قال: قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام: إِنِّي نَاظَرْتُ قَوْماً فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ اللهَ جَلَّ جَلاَلُهُ أَجَلُّ وَأَعَزُّ وَأَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُعْرَفَ بِخَلْقِهِ بَلِ الْعِبَادُ يُعْرَفُونَ بِاللهِ, فَقَالَ: «رَحِمَكَ اللهُ».(الكافي الشريف:٨٦/١)

٥. في دعاء الصباح المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام جاء قوله: «يَا مَنْ دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِه».(بحار الأنوار:٣٣٩/٨٤)

وبهذه المعرفة يحتج الله على خلقه كلهم.

لكن بعد الاعتراف بهذه المعرفة فإنّ على المكلف أنْ يعرف ما يريده منه الله ويسعى إلى طاعة أوامر مولاه جل وعلا.

فيبحث بعد ذلك عن الطريق التي رسمها له والباب التي جعلها سبيلاً إليه, وقد قال تعالى: ﴿اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾.[المائدة:٣٥]

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾.[الأنعام:١٥٣]

فأين قول من يقول إنّ طرق معرفة الله بعدد أنفاس الخلائق؟

فمن هنا تبدأ المعرفة الثانية.

وهكذا نفهم المقصود في قول الإمام عليه السلام: «...يَا مَنْ دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ وَتَنَزَّهَ عَنْ مُجَانَسَةِ مَخْلُوقَاتِهِ وَجَلَّ عَنْ مُلاَئَمَةِ كَيْفِيَّاتِهِ يَا مَنْ قَرُبَ مِنْ

خَطَرَاتِ الظُّنُونِ وَبَعُدَ عَنْ لَحَظَاتِ الْعُيُونِ وَعَلِمَ بِمَا كَانَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ يَا مَنْ أَرْقَدَنِي فِي مِهَادِ أَمْنِهِ وَأَمَانِهِ وَأَيْقَظَنِي إِلَى مَا مَنَحَنِي بِهِ مِنْ مِنَنِهِ وَإِحْسَانِهِ وَكَفَّ أَكُفَّ السُّوءِ عَنِّي بِيَدِهِ وَسُلْطَانِهِ صَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى الدَّلِيلِ إِلَيْكَ فِي اللَّيْلِ الْأَلْيَلِ وَالْمَاسِكِ مِنْ أَسْبَابِكَ بِحَبْلِ الشَّرَفِ الْأَطْوَلِ وَالنَّاصِعِ الْحَسَبِ فِي ذِرْوَةِ الْكَاهِلِ الْأَعْبَلِ وَالثَّابِتِ الْقَدَمِ عَلَى زَحَالِيفِهَا فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ وَعَلَى آلِهِ الْأَخْيَارِ الْمُصطَفَيْنَ الْأَبْرَارِ...».(بحار الأنوار:٨٤/٣٣٩-٣٤٠)

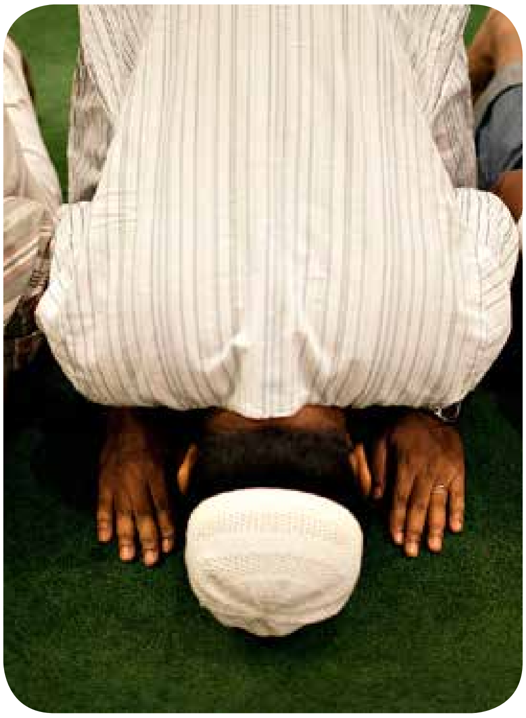

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «إِلَهِي وَسَيِّدِي بِكَ عَرَفْتُكَ وَبِكَ اهْتَدَيْتُ إِلَى سَبِيلِكَ وَأَنْتَ دَلِيلٌ عَلَى مَعْرِفَتِكَ وَلَوْ لَا أَنْتَ مَا عَرَفْتُ تَوْحِيدَكَ وَلَا عَرَفْتُ وَلَا اهْتَدَيْتُ إِلَى عِبَادَتِكَ»

فالله دلّ على ذاته بذاته في مقام المعرفة الأولى.

لكنه جعل هناك من يدل إليه - لا عليه - في ظلمات التيه والضلال, وهم محمد وآله الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

١. روي عن الشيخ الصدوق في كتابه (التوحيد) عن ابن أبي يعفور قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ أَحَدٌ مُتَوَحِّدٌ بِالْوَحْدَانِيَّةِ مُتَفَرِّدٌ بِأَمْرِهِ خَلَقَ خَلْقاً فَفَوَّضَ إِلَيْهِمْ أَمْرَ دِينِهِ فَنَحْنُ هُمْ، يَابْنَ أَبِي يَعْفُورٍ نَحْنُ حُجَّةُ اللهِ فِي عِبَادِهِ وَشُهَدَاؤُهُ عَلَى خَلْقِهِ وَأُمَنَاؤُهُ عَلَى وَحْيِهِ وَخُزَّانُهُ عَلَى عِلْمِهِ وَوَجْهُهُ الَّذِي يُؤْتَى مِنْهُ وَعَيْنُهُ فِي بَرِيَّتِهِ وَلِسَانُهُ النَّاطِقُ وَبَابُهُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ نَحْنُ الْعَالِمُونَ بِأَمْرِهِ وَالدَّاعُونَ إِلَى سَبِيلِهِ بِنَا عُرِفَ اللهُ وَبِنَا عُبِدَ اللهُ نَحْنُ الْأَدِلَّاءُ عَلَى اللهِ وَلَوْلَانَا مَا عُبِدَ اللهُ».(التوحيد:١٥٢)

٢. روي عن علي بن جعفر عن ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَنَا فَأَحْسَنَ خَلْقَنَا وَصَوَّرَنَا فَأَحْسَنَ صُوَرَنَا وَجَعَلَنَا خِزَانَةً فِي سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ وَلَنَا نَطَقَتِ الشَّجَرَةُ وَبِعِبَادَتِنَا عُبِدَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَوْلَانَا مَا عُبِدَ اللهُ».(مسائل علي بن جعفر:٣١٦)

٣. ورد في الزيارة الجامعة المروية عن الإمام الرضا عليه السلام: «...مَنْ أَرَادَ اللهَ بَدَأَ بِكُمْ وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ وَمَنْ قَصدَهُ تَوَجَّهَ إِلَيْكُم...».(عيون أخبار الرضا:٢/٢٧٦)

٤. عن الإمام الرضا عليه السلام في حديث سلسلة الذهب في حديث طويل عن يوسف بن عقيل عن إسحاق بن راهويه قال: (لَمَّا وَافَى أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام نَيْسَابُورَ وَأَرَادَ أَنْ يَرْحَلَ مِنْهَا إِلَى الْمَأْمُونِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ فَقَالُوا لَهُ: يَابْنَ رَسُولِ اللهِ تَرْحَلُ عَنَّا وَلَا تُحَدِّثُنَا بِحَدِيثٍ فَنَسْتَفِيدَهُ مِنْكَ، وَقَدْ كَانَ قَعَدَ فِي الْعَمَّارِيَّةِ فَأَطْلَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ: «سَمِعْتُ أَبِي مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: سَمِعْتُ جَبْرَئِيلَ يَقُولُ: سَمِعْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ حِصنِي فَمَنْ دَخَلَ حِصنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي»، فَلَمَّا مَرَّتِ الرَّاحِلَةُ نَادَانَا: «بِشُرُوطِهَا وَأَنَا مِنْ شُرُوطِهَا»).(أمالي الصدوق:٢٣٥)

فمن لا يعرف الإمام الرضا عليه السلام فضلاً

عن باقي الأئمة أو كلهم لا يعد موحداً وإنْ عرف الله بالمعرفة الأولى.

٥. روى الشيخ الصدوق بإسناده قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الأَئِمَّةُ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ عليه السلام مَنْ أَطَاعَهُمْ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ وَمَنْ عَصاهُمْ فَقَدْ عصى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ هُمُ الْعُرْوَةُ الْوُثْقى وَهُمُ الْوَسِيلَةُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ». (عيون أخبار الرضا عليه السلام:٢/٥٨)

لذلك تجد أهل البيت عليهم السلام يصرحون بأنّ العمل بدون معرفتهم لا قيمة له.

فقد ورد في الكافي الشريف للشيخ الكليني رضوان الله تعالى عليه: «عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ طَلْحَةَ ابْنِ زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام يَقُولُ: «الْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ لاَ يَزِيدُهُ سُرْعَةُ السَّيْرِ إِلاَّ بُعْداً».(الكافي الشريف:١/٤٣)

بل إنّ المعرفة الحقيقية التي بها الثواب وعليها العقاب هي معرفة الإمام عليه السلام وطاعته, وقد ورد في الكافي الشريف أيضاً: عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى عَنْ حَرِيزٍ عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «ذِرْوَةُ الأَمْرِ وَسَنَامُهُ وَمِفْتَاحُهُ وَبَابُ الأَشْيَاءِ وَرِضَا الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الطَّاعَةُ لِلإِمَامِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ», ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً}[النساء:٨٠]».(الكافي الشريف:١/١٨٦)

وجاء في أمالي الصدوق: عن العطار عن سعد عن الأصبهاني عن المنقري عن حفص عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «لاَ خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلاَّ لأَحَدِ رَجُلَيْنِ, رَجُلٍ يَزْدَادُ كُلَّ يَوْمٍ إِحْسَاناً, وَرَجُلٍ يَتَدَارَكُ مَنِيَّتَهُ بِالتَّوْبَةِ, وَأَنَّى لَهُ بِالتَّوْبَةِ وَاللهِ إِنْ سَجَدَ حَتَّى يَنْقَطِعَ عُنُقُهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ إِلاَّ بِوَلاَيَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ...».(تفسير القمي:١/٢٤٣)

> عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «لاَ خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلاَّ لأَحَدِ رَجُلَيْنِ, رَجُلٍ يَزْدَادُ كُلَّ يَوْمٍ إِحْسَاناً, وَرَجُلٍ يَتَدَارَكُ مَنِيَّتَهُ بِالتَّوْبَةِ, وَأَنَّى لَهُ بِالتَّوْبَةِ وَاللهِ إِنْ سَجَدَ حَتَّى يَنْقَطِعَ عُنُقُهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ إِلاَّ بِوَلاَيَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ»

صدق مولاي أمير المؤمنين عليه السلام, والله لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قبل الله منه إلاّ بولايتهم أهل البيت عليهم السلام, وهل يسجد إلاّ إذا كان يعرف الله؟ فلماذا لم تنفعه معرفته تلك؟

وليس هذا الساجد بلا معرفتهم وولايتهم إلاّ من أشارت إليه الرواية التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام, فعن محمد بن الفضيل عن أبي حمزة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «مَنْ خَالَفَكُمْ وَإِنْ تَعَبَّدَ وَاجْتَهَدَ مَنْسُوبٌ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ * عامِلَةٌ ناصِبَةٌ * تَصْلى ناراً حامِيَةً﴾ [الغاشية:٢-٤]».(بحار الأنوار:٢٧/١٦٨)

فهؤلاء يجعل الله أعمالهم هباء منثوراً لأنّهم كما هو حال إبليس يريدون أنْ يعبدوا الله على هواهم, والله يريد أنْ يُعبد كما يريد هو لا كما يريد المخلّون, ومعرفة هؤلاء لله نفس معرفة إبليس الذي عبد الله ستة آلاف سنة ولم تنفعه لأنّه رفض الدخول من الباب التي أرادها الله.

> قال الإمام الصادق عليه السلام: «الْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ لاَ يَزِيدُهُ سُرْعَةُ السَّيْرِ إِلاَّ بُعْداً»

وأما مقولة: إنّ الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق فهي مقولة صوفية يلوكها المتصوفة وأهل العرفانيات, يعارضها قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هذا صِراطي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِه﴾.[الأنعام:١٥٣]

بقلم: حسين علي الطفيلي

لماذا لم يلطم النبي صلى الله عليه وآله ولا علي عليه السلام؟

الإجابة عن هذا السؤال بما يلي:

أولاً: إنّ إبراهيم لم يقطع بالسيوف ولم يطعن بالرماح، ولم تسحق عظامه بحوافر الخيل، ولم يقطع رأسه ويطاف به في البلاد، ولم يجر عليه سبي، ولا أي شيء آخر مما يعتبر هتكاً لحرمة الإسلام واستذلالاً لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولأهل بيته الذين أمرنا الله بمودتهم، فمع ذلك بكى النبي صلى الله عليه وآله

> فإذا كان الموت بالمسلم لأجل معاهدة سلبت حجلها، أو قلبها، فما بالك بما جرى على الإمام الحسين عليه السلام وبنات رسول الله صلى الله عليه وآله في كربلاء، فهل يستكثر اللطم وضرب السلاسل، أو الإدماء من أجل تلك الجرائم النكراء

عليه وحزن على فراقه.

ثانياً: ليس اللطم من الواجبات، وإنّما هو أمر اختياري يختار ما يناسبه، ويليق بحاله، فالمأموم يلطم على إمامه ونبيه ويبكيه، ويقيم له العزاء المناسب.

ولكن ليس بالضرورة أن يلطم النبي صلى الله عليه وآله على فرد من أفراد لسائر الناس، لأنه يراعي المصالح المترتبة على هذا الأمر من موقعه كنبي، أو إمام.

وقد قال عليه السلام فيما يرتبط بما فعله جنود معاوية، الذين أغاروا على أطراف بلاده: «ولقد بلغني: أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة،

والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها، وقلبها، وقلائدها، ورعاثها ما تمنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرين، ما نال رجلاً منهم كلم، ولا أريق لهم دم؛ فلو أن امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً».(نهج البلاغة:١/٦٤)

فإذا كان الموت بالمسلم لأجل معاهدة سلبت حجلها، أو قلبها، فما بالك بما جرى على الإمام الحسين عليه السلام وبنات رسول الله صلى الله عليه وآله في كربلاء، فهل يستكثر اللطم وضرب السلاسل، أو الإدماء من أجل تلك الجرائم النكراء.

ثالثاً: إنّ الشيعة لا يقولون بوجوب اللطم، بل هم لا يمنعون منه من أراده، لأن المطلوب هو إظهار الحزن، وإدانة هذه الفجائع، والاعتراض على النهج العدواني، الذي بلغ إلى هذه الحدود المخيفة والخطرة على الدين وأهله، والتي يصبح بذل كل غالٍ ونفيس في مواجهتها أمراً مرضياً، بل حتماً مقضياً لدى كل عاقل وغيور على الإسلام وأهله.

وكل إنسان يختار من وسائل إظهار هذا الغضب ما يناسب حاله وإمكاناته.

ليس اللطم من الواجبات، وإنّما هو أمر اختياري يختار ما يناسبه، ويليق بحاله، فالمأموم يلطم على إمامه ونبيه ويبكيه، ويقيم له العزاء المناسب

رابعاً: إنّ أحداً لا يستطيع نفي حصول أمر من شخص بضرس قاطع إلا إن كان نبياً، وقد جاءه الوحي بذلك، أو يكون الشخص نفسه قد أخبر عن نفسه بأنه لم يفعل، أو أن يكون مطلعاً على كل لحظات حياة ذلك الشخص، ولم يخف عليه شيء منها، فما معنى نفي حصول اللطم والبكاء من النبي صلى الله عليه وآله أو من غيره بهذه الصورة الجازمة والحتمية.

غاية ما هناك: أن يقول القائل: لم يبلغني، أو لم أره فعل كذا.

فإذا وجدنا أن عائشة ونساء الصحابة يفعلن هذا الأمر، حين توفي رسول الله صلى الله عليه وآله، ويخبرن عنه، فإنّ ذلك يقوي احتمال أن يكون جواز هذا الفعل هو المرتكز في الأذهان في ذلك الزمان.

ويعبر عن هذا الارتكاز قول دعبل في رثاء الإمام الحسين عليه السلام، وإنشاده ذلك بحضرة الإمام الرضا عليه السلام:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً
وقد مات عطشاناً بشط فرات
إذن للطمت الخد فاطم عنده
وأجريت دمع العين في الوجنات

ولم يعترض الإمام الرضا عليه السلام، ولا قال له: إنّ اللطم حرام لم تفعله الزهراء عليها السلام.

بقلم: السيد جعفر مرتضى العاملي

لماذا نبكي على الحسين عليه السلام؟

هناك من يقول: لماذا تبكون على الحسين عليه السلام مع أنّ النبي صلى الله عليه وآله قد نهى عن البكاء والنياحة؟ إنّنا نجد أنّ الشيعة يقومون في موسم محرم بذلك مع أنه غير مشروع؟

الجواب: بالنسبة إلى مسألة البكاء سوف ننقل ـ مع شيء من الترتيب ـ في البداية رأي أحد علماء العامة وهو ابن قدامة المقدسي ـ حنبلي المذهب ـ من كتابه المغني فقد كتب: (والبكاء غير مكروه إذا لم يكن معه ندب ولا نياحة)، أما البكاء بمجرده فلا يكره في حال.

وقال الشافعي: يباح إلى أن تخرج الروح. ولنا (في أن البكاء غير مكروه) ما روى أنس قال شهدنا بنت رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم ورسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم جالس على القبر فرأيت عينيه تدمعان.

وقبّل النبي صلى الله عليه - وآله - وسلم عثمان بن مظعون وهو ميت ورفع رأسه وعيناه تهراقان.

وقال أنس: قال رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم (أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب وإنّ عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم لتذرفان...).

وإنّه دخل على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «يابن عوف إنّها رحمة» ثم اتبعها بأخرى فقال: «إنّ العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلاّ ما يرضى ربنا، وإنّا بفراقك يا إبراهيم

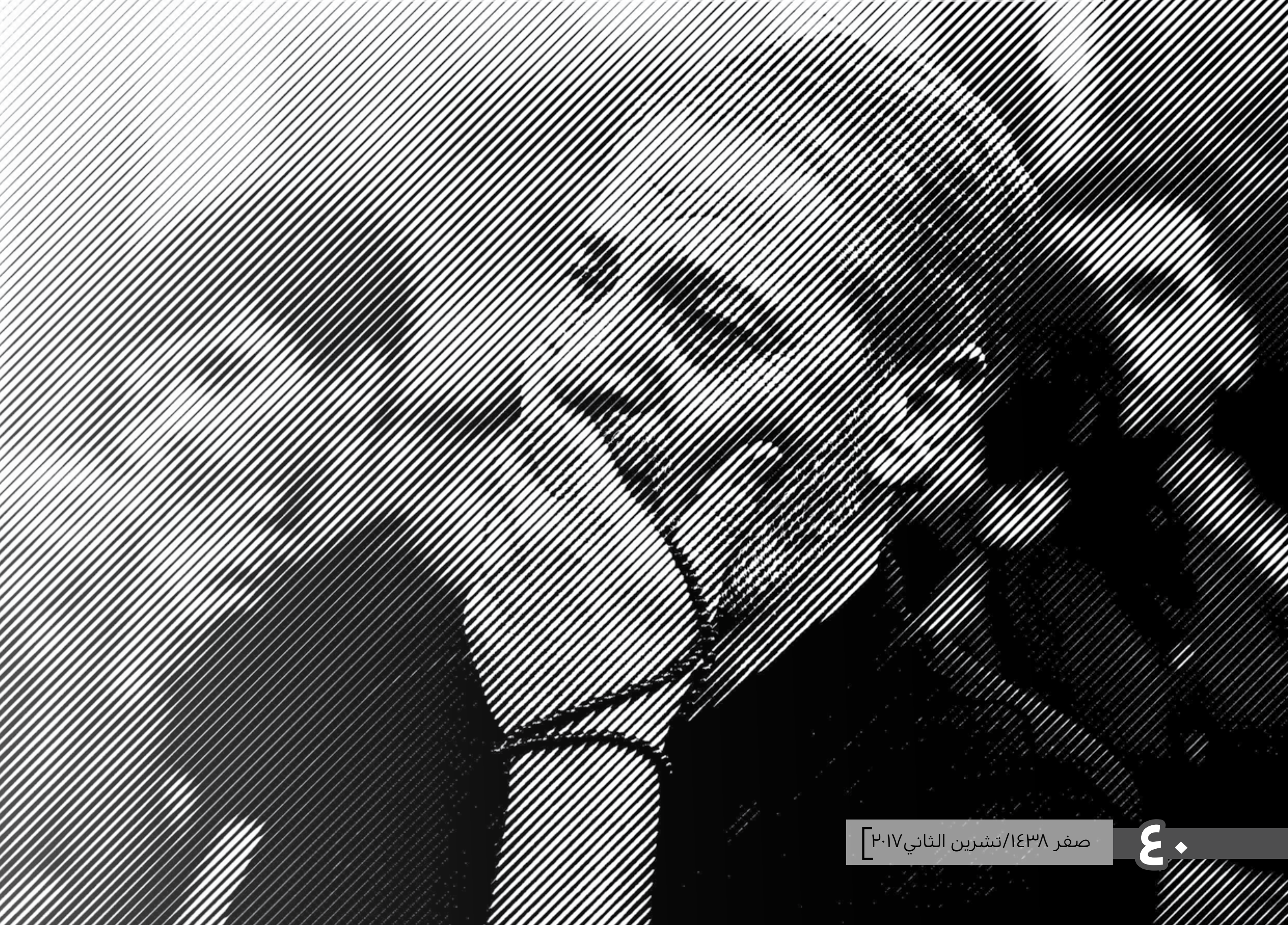

لمحزونون» متفق عليهما.

وأمّا الندب فهو تعداد محاسن الميت وما يلقون بفقده بلفظ النداء لأنّه يكون بالواو مكان الياء وربما زيدت فيه الألف والهاء مثل قولهم وا رجلاه وا جبلاه وانقطاع ظهراه وأشباه هذا والنياحة وخمش الوجوه وشق الجيوب وضرب الخدود والدعاء بالويل والثبور، فقال بعض أصحابنا هو مكروه، ونقل حرب عن أحمد كلاماً فيه احتمال إباحة النوح والندب اختاره الخلال وصاحبه لأنّ واثلة ابن الأسقع وأبا وائل كانا يستمعان النوح ويبكيان.

وقال أحمد: إذا ذكرت المرأة مثل ما حكي عن فاطمة في مثل الدعاء لا يكون مثل النوح يعني لا بأس، به وروي عن فاطمة - عليها السلام - أنّها قالت: «يا أبتاه، من ربه ما أدناه، يا أبتاه إلى جبريل أنعاه، يا أبتاه أجاب رباً دعاه».

وروي عن علي - عليه السلام - أنّ فاطمة - عليها السلام - أخذت قبضة من تراب قبر النبي صلى الله عليه - وآله - وسلم فوضعتها على عينها ثم قالت:

ماذا على مشتم تربة أحمد

أن لا يشم مدى الزمان غواليا

صبّت علي مصيبة لو أنها

صبت على الأيام عدن لياليا

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال (إنّ الميت يعذب في قبره بما يناح عليه) وفي لفظ (إنّ الميت يعذب ببكاء أهله عليه) وروي ذلك عن عمر وابنه والمغيرة، وهي أحاديث متفق عليها. واختلف أهل العلم في معناها فحملها قوم على ظواهرها وقالوا يتصرف في خلقه بما شاء، وأيدوا ذلك بما روى أبو موسى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول وا جبلاه وا سنداه ونحو ذلك إلا وكل الله به ملكين يلهزانه أهكذا كنت؟) قال الترمذي هذا حديث حسن.

وروي عن النبي أنّه قال: «إنّ الميت يعذب ببكاء أهله عليه»، وأنكرت عائشة حمل هذا الحديث على ظاهره ووافقها ابن عباس، فقال: ذكرت ذلك لعائشة فقالت: ...ما حدث رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم «إنّ الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه» ولكن رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم قال: «إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه».(صحيح مسلم:٢/٦٤١)

فتحصل أن استدلالهم على عدم جواز الندب:

١. بما رووه من أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه، ويعضده ما روي (ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول وا جبلاه وا سنداه إلاّ وكّل الله به ملكين يلهزانه أهكذا كنت)؟

٢. بما ذكروه من لعن النبي النائحة والمستمعة.

٣. وبأنه يشبه التظلم والاستغاثة والسخط بقضاء الله.

ولا يخفى على المتأمل ما فيها، فأما ما ذكر من أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه فقد كفانا مؤونةَ رده، ما قالته عائشة.. وأن معناه غير مقبول من الناحية الإسلامية ومخالف للقرآن فإمّا أن يكون راويه واهماً في النقل أو الاحتمال الآخر.. كما أن مقتضاه أن يعذب ـ والعياذ بالله ـ مثل الشهيد جعفر بن أبي طالب الطيار لأجل بكاء النبي صلى الله عليه وآله عليه؟ أو يعذب النبي ـ والعياذ بالله ـ وهو سيد الخلائق ببكاء

> **إنّ الأئمة عليهم السلام بكوا على أمواتهم ـ ولو بحسب الظاهر عند الناس كيوسف ـ إذ بكى نبي الله يعقوب على يوسف، وواقعا كبكاء باقي المعصومين: فقد بكى النبي صلى الله عليه وآله على إبراهيم ابنه، وعلى أمه عندما زار قبرها فبكى وأبكى، وأمر أن يبكى على حمزة سيد الشهداء بعد واقعة أحد، وأظهر تأسفه على أن حمزة لا بواكي له**

الصديقة الزهراء عليها السلام عليه؟

بل يستطيع ـ على هذا ـ شخص من الأحياء أن يزيد في عذاب ميت من أقاربه كان يعاديه بأن ينوح عليه حتى يكثر عذابه، ويزيد.. وهو كما ترى!

وأمّا ما ذكر من لعن النائحة لو ثبت فهذا يفسره ما رووه (ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول...) ومعناه لو تم صدوره عن النبي أن النياحة بالكذب غير جائز، باعتبار أن الكذب غير جائز سواء كان بنحو النياحة أو الفرح أو الحديث العادي، فهنا لا موضوعية للنياحة وإنّما النهي منصب على موضوع الكذب فيها.

والشاهد فيه قول الملكين: يلهزانه: أهكذا كنت؟ فإن كانت النياحة والندب بالصدق فلا معنى للهز الملائكة.. لأنّه ليس بكذب! وما ذكر في تفسير الآية ﴿... وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ...﴾ قال أحمد هو النوح.. ونقول هو يُحمل على النوح بالباطل والكذب.

وأما أنه يشبه التظلم والاستغاثة والسخط بقضاء الله، فبين هذا وبين النياحة عموم من وجه، أي قد يكون تظلم وسخط بقضاء الله من غير نياحة، وقد تكون نياحة من غير تسخط بقضاء الله، وقد تكون نياحة مع التسخط.. وهنا لا يتم الاستدلال بالمنع إلا في مورد الاجتماع لا عموم النياحة كما هو واضح.

هذا عند جمهور المسلمين، وأما عند أتباع أهل البيت عليهم السلام فيجوز البكاء والنياحة على الميت، ويستدل عليه:

١. بأصل الإباحة فإنّه مع الشك في أن البكاء أو النياحة حرام يأتي أصل الإباحة فضلاً عما سيأتي من الأدلة على الجواز بل الاستحباب في بعض الحالات.

٢. بسيرة المعصومين عليهم السلام فإنهم بكوا على أمواتهم ـ ولو بحسب الظاهر عند الناس كيوسف ـ إذ بكى نبي الله يعقوب على يوسف، وواقعاً كبكاء باقي المعصومين: فقد بكى النبي صلى الله عليه وآله على إبراهيم ابنه، وعلى أمه عندما زار قبرها فبكى وأبكى، وأمر أن يبكى على حمزة سيد الشهداء بعد واقعة أحد، وأظهر تأسفه على أن حمزة لا بواكي له.(تاريخ الطبري:٢/٢١٠)

قال الطبري: مرّ رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وبني ظفر فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم فذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم فبكى ثم قال: «لكن حمزة لا بواكي له»، فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دار بني عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم. (تاريخ الطبري:٢/٢١١)

فلما رأت نساء الأنصار ذلك كن لا يبكين قتلاهن حتى يبدأن بحمزة، تقول أم سعد: إلى يومنا هذا.

وبكى علي أمير المؤمنين عليه السلام على أمّه فاطمة بنت أسد، وبكت فاطمة الزهراء عليها السلام على أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، وبكى علي والحسنان على الزهراء عليهم السلام، وعلي بن الحسين على أبيه الحسين عليهم السلام.

بكى علي أمير المؤمنين عليه السلام على أمّه فاطمة بنت أسد، وبكت فاطمة الزهراء عليها السلام على أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، وبكى علي والحسنان على الزهراء عليهم السلام، وبكى علي بن الحسين على أبيه الحسين وأهل بيته الشهداء عليهم السلام

وباقي الأئمة المعصومين عليهم السلام على جدّهم الحسين بن علي عليهما السلام مما يجده المتتبع لحياتهم صلوات الله عليهم.

٣. بسيرة المتشرعة المتصلة والممضاة من قبل المعصومين عليهم السلام، فقد بكت الفاطميات وناحت على الحسين عليه السلام، بمسمع ومرأى من زين العابدين عليه السلام، وأنشدت الرباب الشعر في رثاء الحسين عليه السلام، وهو يسمع.

وإنشاد الشعر من قبل الشعراء أمام الأئمة في حق الحسين عليه السلام كثير ويمكن مراجعته في باب ١٠٤ من أبواب المزار في الوسائل، منها ما يلي:

أ: عَنْ زَيْدٍ الشَّحَّامِ فِي حَدِيثٍ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ لِجَعْفَرِ بْنِ عَفَّانَ الطَّائِيِّ: «بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ الشِّعْرَ فِي الْحُسَيْنِ عليه السلام وَتُجِيدُ»، قَالَ: نَعَمْ، فَأَنْشَدَهُ فَبَكَى وَمَنْ حَوْلَهُ حَتَّى سَالَتِ الدُّمُوعُ عَلَى وَجْهِهِ وَلِحْيَتِهِ ثُمَّ قَالَ: «يَا جَعْفَرُ وَاللهِ لَقَدْ شَهِدَكَ مَلَائِكَةُ اللهِ الْمُقَرَّبُونَ هَاهُنَا يَسْمَعُونَ قَوْلَكَ فِي الْحُسَيْنِ عليه السلام، وَلَقَدْ بَكَوْا كَمَا بَكَيْنَا وَأَكْثَرَ وَلَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَكَ يَا جَعْفَرُ فِي سَاعَتِكَ الْجَنَّةَ بِأَسْرِهَا وَغَفَرَ لَكَ»، فَقَالَ عليه السلام: «أَلَا أَزِيدُكَ»، قَالَ: نَعَمْ يَا سَيِّدِي، قَالَ عليه السلام: «مَا مِنْ أَحَدٍ قَالَ فِي الْحُسَيْنِ عليه السلام شِعْراً فَبَكَى وَأَبْكَى بِهِ إِلاَّ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ الْجَنَّةَ وَغَفَرَ لَهُ». (وسائل الشيعة:١٤/٥٩٤)

ب: قال عليه السلام لأبي هارون في حديث طول: «..مَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ شِعْراً فَبَكَى وَأَبْكَى عَشَرَةً كُتِبَتْ لَهُمُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ شِعْراً فَبَكَى وَأَبْكَى خَمْسَةً كُتِبَتْ لَهُمُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ شِعْراً فَبَكَى وَأَبْكَى وَاحِداً كُتِبَتْ لَهُمَا الْجَنَّةُ، وَمَنْ ذُكِرَ الْحُسَيْنُ عِنْدَهُ فَخَرَجَ مِنْ عَيْنِهِ مِنَ الدَّمْعِ مِقْدَارُ جَنَاحِ ذُبَابٍ كَانَ ثَوَابُهُ عَلَى اللهِ وَلَمْ يَرْضَ لَهُ بِدُونِ الْجَنَّةِ». (وسائل الشيعة:١٤/٥٩٥)

بل ورد أنه لا مانع من البكاء حتى على غير المؤمن من الضُلال، إذا كان على وجه الرقة والحزن والأسف على مصيرهم. مما لا يعد تأييداً لطريقتهم كما في باب ٨٩ من الوسائل، وعليه يحمل ما فعله بعض أجلة العلماء مثل الشريف الرضي والمرتضى مع صاحبهما أبي إسحاق الصابي حيث رثاه كل منهما بقصيدة غراء.

نعم قد يعارضه أمور:

١. منها ما في دعوى (المبسوط) ٥ الإجماع على عدم جواز النياحة، ولكنها كما ذكر الكثير دعوى غير مقبولة وتعجب بعضهم من دعوى الشيخ الاجماع على المسألة.. نعم لو أراد النياحة المذكورة التي تنتهي إلى الكذب، فلا مانع من ذلك لكن المدعى غيرها.

٢. منها ما في جملة من الأخبار الناهية عن النياحة والجزع ففي رواية جابر (...ومن أقام النواحة فقد ترك الصبر وأخذ في غير طريقه) وفي رواية أخرى (النياحة من عمل الجاهلية) وما ورد من الإيصاء بأن (لا تخمشي علي وجهاً ولا تشقي علي ثوباً) وقد نقل هذا المضمون عن النبي والحسين عليهما السلام.

بكت الفاطميات وناحت على الحسين عليه السلام، بمسمع ومرأى من زين العابدين عليه السلام، وأنشدت الرباب الشعر في رثاء الحسين عليه السلام، وهو يسمع

والجواب عنها أن الأولى ناظرة إلى النياحة الكاذبة التي كانت على زمان الجاهلية، والثانية بأن بين ما ذكر (خمش الوجوه وشق الثياب) وبين النياحة عموماً من وجه، والكلام هو في النياحة التي لا يوجد فيها تلك الأمور.

٣. منها حسنة معاوية ابن وهب (لجهة أبي محمد الأنصاري فإنه لم يوثق بتوثيق خاص لكن مدحه محمد بن عبد الجبار في رواية أمالي الطوسي): «كُلُّ الْجَزَعِ وَالْبُكَاءِ مَكْرُوهٌ سِوَى الْجَزَعِ وَالْبُكَاءِ عَلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ».(أمالي الطوسي:١٦٢)

فإنها بعمومها تدل على منع الجزع والبكاء مطلقاً، ويستثنى من ذلك الجزع والبكاء على الحسين عليه السلام، وأمّا ما عداه فيبقى تحت المنع.. وقد وجهت بتوجيهات مختلفة مثل أن (مكروه) هل هي بمعنى الكراهة الاصطلاحي أو بما يشمل الممنوع؟ أو أن المكروه هو مجموع البكاء والجزع.. أو غيرها، ومحلها في الفقه حيث لا يتسع المقام لبسط الكلام فيه.

أما النياحة والندبة على الإمام الحسين عليه السلام فيمكن الاستدلال عليها:

أولا: بما سبق من الأدلة الدالة على جواز البكاء والنياحة على المؤمن فكيف برأس الإيمان وإمام المؤمنين؟

ثانيا: بما ورد من الروايات في خصوص هذا الموضوع:
فمنها حسنة معاوية.

ومنها: صحيحة الفضيل بن يسار: من ذكرنا عنده ففاضت عيناه ولو مثل جناح الذباب غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر.

عَنْ بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ لِفُضَيْلٍ: «تَجْلِسُونَ وَتُحَدِّثُونَ؟»، قَالَ: نَعَمْ، جُعِلْتُ فِدَاكَ. قَالَ: «إِنَّ تِلْكَ الْمَجَالِسَ أُحِبُّهَا، فَأَحْيُوا أَمْرَنَا يَا فُضَيْلُ، فَرَحِمَ اللهُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَنَا، يَا فُضَيْلُ، مَنْ ذَكَرَنَا أَوْ ذُكِرْنَا عِنْدَهُ فَخَرَجَ مِنْ عَيْنِهِ مِثْلُ جَنَاحِ الذُّبَابِ، غَفَرَ اللهُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَلَوْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ». (قرب الإسناد:٣٦. كامل الزيارات:١٠٤)

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ لِفُضَيْلٍ: «تَجْلِسُونَ وَتُحَدِّثُونَ؟»، قَالَ: نَعَمْ، جُعِلْتُ فِدَاكَ. قَالَ: «إِنَّ تِلْكَ الْمَجَالِسَ أُحِبُّهَا، فَأَحْيُوا أَمْرَنَا يَا فُضَيْلُ، فَرَحِمَ اللهُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَنَا، يَا فُضَيْلُ، مَنْ ذَكَرَنَا أَوْ ذُكِرْنَا عِنْدَهُ فَخَرَجَ مِنْ عَيْنِهِ مِثْلُ جَنَاحِ الذُّبَابِ، غَفَرَ اللهُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَلَوْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ

وفي هذه الرواية إضافة إلى ذكر الثواب الكثير على البكاء مما يفيد ما هو أكثر من مجرد الجواز بل الاستحباب، يستفاد منها جواز واستحباب ذكر الذاكر للأئمة عموما وليس الحسين عليه السلام فقط.

ومنها: صحيحة محمد بن مسلم.

فعن عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ الْحِمْيَرِيُّ عَنْ أَحْمَدَ وَعَبْدِ اللهِ ابْنَيْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ رَزِينٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام يَقُولُ: أَيُّمَا مُؤْمِنٍ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ عليه السلام حَتَّى تَسِيلَ عَلَى خَدِّهِ بَوَّأَهُ اللهُ تَعَالَى بِهَا فِي الْجَنَّةِ غُرَفاً يَسْكُنُهَا أَحْقَاباً وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ حَتَّى تَسِيلَ عَلَى خَدَّيْهِ فِيمَا مَسَّنَا مِنَ الْأَذَى مِنْ عَدُوِّنَا فِي الدُّنْيَا بَوَّأَهُ اللهُ مَنْزِلَ صِدْقٍ وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ مَسَّهُ أَذًى فِينَا فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ حَتَّى تَسِيلَ عَلَى خَدِّهِ مِنْ مَضَاضَةٍ أَوْ أَذًى فِينَا صَرَفَ اللهُ مِنْ وَجْهِهِ الْأَذَى وَآمَنَهُ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَخَطِ النَّارِ».(ثواب الأعمال وعقاب الأعمال:٨٣)

ثالثاً: بأن البكاء والنياحة على الحسين عليه السلام مما ينطبق عليه عنوان إحياء الدين، وأمر أهل البيت عليهم السلام وهو في أدنى درجاته مستحب.

فمنها صحيحة الفضيل وقد تقدم شطر منها (تجلسون وتتحدثون؟ قلت نعم، فقال: إن تلك المجالس أحبها فأحيوا أمرنا).

هل يختص البكاء والندبة بوقت؟

إنّ عمومات جواز البكاء والنياحة على المؤمن فضلاً عن الحسين عليه السلام واستحبابه عليه، لا تختص بوقت دون آخر، نعم لو كانت مجددة للحزن على قريب الميت، وداعية إلى تأثره وتألمه فلا ينبغي ذلك بالنسبة للمؤمن، وأما بالنسبة إلى الإمام الحسين عليه السلام، فلما كانت تجديدا للعهد، وداعية للتذكر، وباعثة على الاقتداء والتأسي، كان من المستحب الاستمرار عليها.

إنّ البكاء على الحسين عليه السلام (وسائر المعصومين عليهم السلام) له فوائد متعددة منها ما يلي:

١. يمثل إعلان موقف انسجام، وانتماء، للحسين عليه السلام ولخطه، ومواساة لرسول الله صلى الله عليه وآله، وأهل البيت عليهم السلام.

ولعل فقرة الزيارة المشهورة (لبيك داعي الله إن كان لم يجبك بدني عند استغاثتك ولساني عند استنصارك فقد أجابك قلبي وسمعي وبصري) فيها إشارة إلى هذا المعنى واستمراره.

٢. هو صرخة رفض للطغيان في التاريخ، وتحديد لمسؤولية المنحرفين فيه، وأن تقادم الأيام لا يمحو عبثهم بقيم الدين، وبمصالح الإسلام، ولا يمحو

جرائمهم بل يبقى هذا السجل الأسود يلاحقهم بلعنة اللاعنين وأسى المؤمنين على مصائب الطيبين الطاهرين.

وفي هذا شيء من الردع للظالمين اللاحقين لكيلا يظنوا أن بإمكانهم أن يفسدوا في الأرض ويهلكوا الحرث والنسل ثم ينسلّون من صفحة الحياة بعد ما ملؤوها ظلماً وجوراً، من دون أن يعكر صفوَ حياتهم شيءٌ.. كلا.. إن لعنة المؤمنين والذكر السيئ المقرون بالاشمئزاز والتنفر ليلاحقانهم في البرزخ إلى يوم القيامة إذا ﴿... جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾.[غافر:٤٠]

كما أنّه موقف طبيعي للإنسان الطبيعي.. فإن من يقرأ الحوادث التأريخية ويكون سوياً، فلابد أن يتفاعل معها بحسب ما يتطلبه الموقف، والحدث الذي يقرأ عنه، وإلا كان عديم الإحساس، بل لم يعد من الناس.

فإن من يقرأ سيرة النبي صلى الله عليه وآله، ولا يتفاعل معها في المواقف المختلفة مستحسناً عمل النبي وسيرته تارة، ومتأسفاً على جحود أعدائه لدعوته أخرى، ومسترقاً خاضعاً من مناجاته لربه ثالثة، وحزيناً تغرورق عيناه بالدمع على رحيله مريضاً رابعة.. من لا يكون كذلك لابد أن يُشك في كونه طبيعيا!! وهذا لا يرتبط بكون القارئ مسلماً بل بكونه إنساناً، فإذا لم تؤثر المواقف الإنسانية النبيلة في عواطفه، فقد خرج عن الحالة الإنسانية السوية.

وإذا تطلع إنسان إلى القضية الحسينية وما جرى في معركة عاشوراء على أبطالها، رجالاً ونساءً وأطفالاً من القتل والذبح والتمثيل والتنكيل، والسبي والإيذاء بكل صوره المتوقعة.. فلا بد أن يتأثر ويتفاعل معها، ولو لم يحصل له أدنى مقدار من التفاعل فلا بد أن نشكك في إنسانيته وفي كونه سوياً على الفطرة البشرية، والخلقة الإلهية.

ولعل هذا ما يشير إليه حديث رسول الله صلى الله عليه وآله في تأبين ابنه إبراهيم (إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن) أي إن القلب السوي لا بد أن يتأثر ويتحرك وأن العين الطبيعية لا بد أن ينعكس عليها تأثر الداخل فتفيض بالدمع، وإلا لما كان هذا الإنسان سويا.

بل يجد الإنسان أنه يتأثر حتى لحال الحيوان.. فما ظنك بسادة البشر؟ الذين إنما تحركوا في تلك الواقعة إلا بأنبل الدوافع وأطهر الأهداف، وضحوا بأنفسهم وأموالهم وبنيهم وأصحابهم، من أجل حياة الدين وكرامة الإنسان.. قومٌ خيرهم ربهم تشريعا بين البقاء وفي مقابله انهدام الدين واللقاء به باذلين مضحين: فرأيت أن لقاء ربك باذلا للنفس خير من بقاء ضنين.

بقلم: الشيخ فوزي ال سيف

أين الحسين وقتلى من بني حسن

ما أنتِ منّي ولا ربعاكِ لي وطرُ ... الهَمُ أَمْلَكُ بي والشَّوْقُ والفِكَرُ
وراعَها أَنَّ دَمْعاً فاضَ مُنْتَثِراً ... لا أوْ ترى كبدي للحزنِ تنتثرُ
أينَ الحسينُ وقتلى من بني حسنٍ ... وجعفرٍ وعقيلٍ غالَهُم عُمَرُ
قتلى يحنُ إليها البيتُ والحجرُ ... شَوْقاً، وتبكيهُمُ الآياتُ والسُوَرُ
ماتَ الحسينُ بأيدٍ في مغائظها ... طَوْلٌ عليه وفي إشْفاقها قِصرُ
لا درَّ درُ الأعادي عندما وتروا ... ودَرَّ دَرُّكِ مَا تَحْوِينَ يا حُفَرُ
لمَّا رَأَوا طُرُقاتِ الصبْرِ مُعْرِضَةً ... إلى لقاءٍ ولقيا رحمةٍ صبروا
قالوا لأَنْفُسِهِمْ: يا حَبَّذا نَهَلٌ ... محمدٌ وعليٌ بعدهُ صدرُ
رِدُوا هَنيئاً مريئاً آلَ فاطِمَةٍ ... حوضَ الردَى فارتَضَوا بالقتلِ واصطبروا
الْحَوضُ حَوْضُهُمُ، والجدُ جَدُهُمُ ... وعندَ ربِّهمُ في خلقِهِ غيرُ
أَبْكيكُمُ يا بَني التَّقْوى وأُعْوِلُكُمْ ... وأَشْرَبُ الصبْرَ وهو الصابُ والصبرُ

أبكيكمُ يا بني بنتِ الرسولِ ولا   عفتْ محلَّكمُ الأنواءُ والمطرُ
في كلِ يَومٍ منْ تذكُرِهم   تَغْرِيبةٌ وَلِدَمْعي مِنْهُمُ سَفَرُ
موتاً وقتلاً بهاماتٍ مفلقةٍ   مِنْ هاشِمٍ غابَ عَنْها النَّصرُ والظَّفَرُ
كفى بأَنَّ أَنَاةَ اللهِ واقِعَةٌ   يَوْماً، ولله في هَذا الوَرَى نَظَرُ
أنسى عليًّا وتفنيدَ الغُواةِ له   وفي غدٍ يعرفُ الأفَّاكُ والأشرُ
منْ ذا الذي كلَّمتهُ البيدُ والشجرُ؟   وسَلَّمَ التُرْبُ إذْ ناداهُ والحَجَرُ؟
حتى إذا أَبْصرَ الأَحْياءُ من يَمَنٍ   برهانهُ آمنوا من بعدما كفروا
أمْ من حوى قصباتِ السبقِ دونهمُ   يوم القُلَيْبِ وفي أعناقِهم زورُ
أَضَبْعَ غَيْرِ عَليٍّ كانَ رافِعَه   مُحَمَّدُ الخَيْرِ أَمْ لا تَعْقِلُ الحُمُرُ
الحقُ أبلجُ والأعلامُ واضحةٌ   لو آمَنَتْ أَنْفُسُ الشَّانِينَ أَوْ نَظَرُوا
دعوا التخبطَ في عشواءَ مُظلمةٍ   لم يبدُ لا كوكبٌ فيها ولا قمرُ

* الشاعر عبد السلام بن رغبان الكلبي

الشعائر الحسينية في الثقافة المهدوية

يقف الليل دائماً وهو ينتظر رؤية النهار، ويقف النهار ينتظر وصول الليل، ولكن لسوء حظهما فإنهما عادة يذهبان بمجرد وصول أحدهما.

فترى أن الليل يتعب من الانتظار فيذهب في اللحظة نفسها التي يأتي فيها النهار، وهكذا النهار ينفد صبره ويرحل في نفس لحظة هبوط الليل، واقعاً أنها حياة غريبة يعيشها الأخ مع أخوه.

والغريب وعلى الرغم من كونهما إخوة إلاّ أنهما لم يرَ أحدهما الآخر أبداً وكانت وسيلة الاتصال الوحيدة بينهما هي دقائق بسيطة حين الفجر والغروب

وتكون بواسطة حاجز دخاني كبير.

ذات يوم استغل الليل هذه الدقائق في طرح بعض الأسئلة على النهار!

فقال له وكانت أيام محرم الحرام هي الحاكمة على الكون!

فقال له: أخي العزيز ما هي فائدة محرم؟ وما هي الحكمة منه؟

بعبارة أخرى ما موقعية محرم في الواقع الديني؟

فقال النهار: لا فائدة فيه!

فقال الليل: ماذا؟!

فقال النهار: مبتسماً كنت أمزح معك فقط!

الحقيقة أنّ محرم هو المشروع الإلهي الأكبر من أجل المحافظة على جوهر الدين.

وباختصار شديد إنّ محرم يمثل الجامعة التي يتخرج منها المهدويون!

فقال الليل: وكيف هذا؟

قال النهار: محرم الحرام وقضية سيد الشهداء منذ كانت وهي تعمل في خطين متوازيين!

الخط الأول هو خط المشاعر والبعد العاطفي فهو خط يعمل على تجييش المشاعر التي بدورها تقود الإنسان إلى الخط الثاني وهو العمل بما يناسب هذه المشاعر!

وحقيقة هذا هو السر الإلهي الذي به عاشت وترعرعت قضية الحسين عليه السلام في المجتمع!

قال الليل: هل يمكن أن تشرح لي أكثر؟

أجاب النهار: نعم بكل سرور!

إنّ الله خلق الإنسان وجعل المحرك الرئيسي الذي يقوم بتحريك الإنسان هو البعد العاطفي!

فالعاطفة المحرك الرئيسي للإنسان، فترى أن الإنسان يقرر ويعمل ويفكر وكل ذلك له مادة أساس وهي العاطفة ولهذا السبب نرى أن الدول الآن حين تريد التأسيس لمشروع معين وتريد إقناع المجتمع البشري به فإنّها تركز على الجانب العاطفي بالأساس!

والسماء أيضاً استخدمت هذا المبدأ نفسه في تجييش المجتمع!

فإنّ مشروع السماء الأكبر هو الدولة المهدوية كما هو واضح وهذه الدولة المهدوية بحاجة إلى تأسيس وإلى مقبولية مجتمعية وإلى دعم إنساني كبير وهنا تكمن مهمة عاشوراء في هذا البعد منها!

فإذا كان الحسين مظلوماً والذي يطلب بثأره هو ولده الحجة فإن كل المشاعر الجياشة والحرقة القلبية التي زرعت في الوجدان الشيعي تقود المجتمع نحو الإمام المهدي باعتباره الجهة التي تمثل الحسين عليه السلام وفي الوقت نفسه الجهة التي تطلب ثأره.

الشعائر الحسينية مسمار يثبت العقيدة في الوجدان الشيعي.

وهذا بالضبط ما خلاصته أن مشروع السماء يطير بجناحي الظلامة والأمل!

فالظلامة جوهرها الحسين عليه السلام، والأمل جوهره المهدي صلوات الله وسلامه عليهما!

فقال الليل: نعم نعم نعم لقد فهمت الآن قصدك ولكنّ سؤالي الأخير هو كيف تستثمر هذه المشاعر في قضية مشروع السماء والدولة المهدوية؟

قال النهار: الطرق كثيرة وهي بالفعل بعدد أنفاس الخلق فكل إنسان يتفاعل مع تلك الظلامة بما يناسبه ولكنّ هنالك عنواناً يجمع كل تلك الطرق وهو عنوان (الشعائر الحسينية).

أنّ الشعائر الحسينية هو المشروع الإلهي الأكبر من أجل المحافظة على جوهر الدين.

فما هي الشعائر الحسينية؟ وما مدخليتها في إنجاز مشروع السماء؟

وهذا السؤال بعد تلك المقدمة أصبح جوابه واضحاً جداً!

الشعائر الحسينية هي ممارسات خارجية يقوم بها

المتأثر بالقضية الحسينية بشكل فردي أو بشكل مجموعات بطريقة تتناسب وتتلاءم مع عقلية الفرد والمجتمع!

ولمّا كانت العقول متباينة في إدراكها وفي حدودها وفي معرفتها فإنّ تفاعلها مع القضية الحسينية سيكون أيضاً متبايناً بحسب عقل الفرد وتوجه المجتمع.

أما كيف تسهم الشعائر الحسينية بمختلف أشكالها في التمهيد لمشروع السماء؟

فإنّ الجواب أيضاً بعد تلك المقدمة واضح جداً وهو أن الشعائر في بعدها الخارجي والتطبيقي تشبه المسمار الذي يثبت ألواح السفينة.

فالشعائر مسمار يثبت العقيدة في الوجدان الشيعي.

بل وأكثر من ذلك فهي تشبه ذلك المنفاخ الذي يزيد من توهج الجمرة فالشعائر تعمل عمل المنفاخ الذي يزيد من توهج شعلة الاقتداء بالحسين وطلب ثأره مع ولي دمه وهو الحجة صلوات الله وسلامه عليهما.

ومن هذا الباب ستكون الشعائر الحسينية جامعة يتخرج منها الممهدون لمشروع السماء الأزلي الذي سعى كل الأنبياء لتهيئة الأرضية المناسبة له.

فقال الليل: أشكرك جدا أخي العزيز فإن الوقت قد حان لكي اذهب وغدا سوف نتكلم عن مسألة الأنبياء هذه!

فقال النهار: سوف أكتب الجواب لك الآن وأضعه في صندوق المعلومات فأنا غداً سأكون مشغولاً في إعادة هيكلة الفصول الفكرية الأربعة.

> **فالأنبياء في جوهر دعوتهم تجد الحجة المنتظر والحجة المنتظر في جوهر مشروعه تجد الحسين والحسين في بعده التطبيقي تجد الشعائر الحسينية التي بدورها تخرج الممهدين للمشروع السماوي الأكبر ألا وهو نصرة الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف**

> **إن مثل الشعائر الحسينية والدين كمثل البيضة، فالنواة هو الدين والشعائر هو قشر الخارجي، ومن وظائفه حماية الدين وحفظه من الدنس، فلو كسرنا القشر لا فائدة من النواة أبداً.**

أما موقع الأنبياء من قضية الحسين فليس أمراً خفياً عن الناس وعن المجتمع فإن الأنبياء كلهم شاركوا بشكل أو بآخر في قضية إحياء أمر سيد الشهداء وليس كلامي الآن بهذه النقطة بل إن كلامي هو حول الهدف منها.

كلنا نعرف أن هدف الأنبياء هو هداية الخلق وإقامة المشروع السماوي.

وكلنا نعرف أيضاً أن الأنبياء لم يحققوا هذه الغاية.

إذاً ما الذي قام به الأنبياء؟

الجواب: إنّهم مهدوا للنبي الخاتم الذي بدوره مهد لمشروع دولة ولده الحجة المنتظر عن طريق مشروع الغدير الذي بسبب خيانة الأمة له تأسس مشروع الطف وبدأ مشروع الحسين.

فالأنبياء في جوهر دعوتهم تجد الحجة المنتظر والحجة المنتظر في جوهر مشروعه تجد الحسين والحسين في بعده التطبيقي تجد الشعائر الحسينية التي بدورها تخرج الممهدين للمشروع السماوي الأكبر ألا وهو نصرة الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

بقلم: حيدر الوائلي

المفضل التلميذ المفضل لأهل البيت عليهم السلام

اسمه ونسبه

هو المفضل بن عمر الجعفي الكوفي يكنى بأبي عبد الله وأبي محمد، وجعفى هي حي في اليمن سميت على اسم صاحب القبيلة جعفي بن سعد العشيرة ابن مذحج كما ذكرها ابن منظور، والمفضل هو فقيه ومحدث ومصنف وتابعي لم تسهب المصادر في نسبه ولم يعرف بغير هذا الاسم.(الفهرست للطوسي:١٩٧)

ولادته ونشأته

ولد في الكوفه في فترة إمامة الإمام الباقر عليه السلام ومن هنا يستفاد في الاستدلال على تاريخ ولادته التقريبي الذي ذكرته المصادر حيث كانت فترة حياة الإمام الباقر عليه السلام (٩٥-١١٤) للهجرة ويكون زمان تاريخ ولادته التقريبي في نهاية القرن الأول الهجري في مدينة الكوفة.

نشأ المفضل بن عمر الجعفي في الكوفة في وقت كان فيه الجو السياسي مضطربا وكانت الأحزاب السياسية منتشرة في جميع أنحاء العالم الإسلامي وخصوصاً بالكوفة فقد كانت مصدر انطلاق هذه الأحزاب.

وقد اتصل بآل البيت عليهم السلام اتصالاً وثيقاً وكان مصاحباً للإمام الصادق والإمام الكاظم والإمام الرضا عليهم السلام.(حياة المفضل:٣٩)

وكان ينوب عن الأئمة في استلام الحقوق الشرعية وصرفها في مواردها وهناك الكثير من الروايات التي تدل على حب أهل البيت عليهم السلام له من جملتها قول الإمام الصادق بحقه «مفضل أنيسي وصاحبي وأنا أشعر بالراحة عنده».(الثقات الأخيار من رواة الأخبار:٣٧٨)

ويذكر أنّه في أحد الأيام أنّ المفضل بن عمر زار الإمام الصادق عليه السلام فقال له: «يا مفضل أقسم بالله إنّي أحبك وأحب من يحبك يا مفضل لو أنّ جميع أصحابي كانوا يعلمون ما تعلم لما اختلف اثنان منهم»، فقال المفضل يا بن رسول الله أظنك قد جعلتني في درجة أعلى مما أستحق فقال الإمام عليه

السلام: «بل جعلتك في مرتبة قد خصك الله بها».

وكان له ولد اسمه محمد قد ذكره الشيخ الطوسي وعدّه من أصحاب الإمامين الكاظم والرضا عليهما السلام.

أقوال العلماء فيه

لقد تعرض المفضل بن عمر رضوان الله عليه إلى هجمة كبيرة من قبل البعض حيث اتهم بالغلو وفساد العقيدة وهذه الاتهامات قد تعرض لها الكثير من علماء الإمامية على مر العصور وكان الغرض من وراء هذه الأقاويل هو تشويه صورة المذهب بتشويه صورة أعلامه إلاّ أنّ علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام قد وثقوا هذه الشخصيات بالأدلة والروايات المستفيضة التي تثبت ثقة هذه الشخصيات فقد وثقه الشيخ المفيد رضوان الله عليه وعدّه من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام المقربين وروى رواية تؤكد على حب الإمام للمفضل بن عمر.

أمّا بالنسبة للسيد الخوئي فقد وثقه وعدّه من أصحاب الإمام المقربين المخلصين المعتمد عليهم في تلك الظروف الحرجة للإمام وذكر السيد الخوئي أنّ الروايات الواردة في ذم المفضل بن عمر غير تامة السند سوى ثلاث روايات إلاّ أنّه قال ينبغي رد علمها إلى أهلها لأنّها تسقط أمام الكم الهائل من الروايات التي تدل على وثاقة المفضل بن عمر ويكفي في المفضل ابن عمر الجعفي تخصيص الإمام له بكتاب التوحيد الذي سماه النجاشي بكتاب (فكر) وهذا الكتاب دليل على أنّ المفضل بن عمر كان من خواص الإمام ومورد عنايته وقد روى الشيخ الصدوق روايات عن المفضل بن عمر الجعفي عن الإمام الصادق وعده من الفقهاء.(معجم رجال الخوئي:٣١٧)

وقد ذكره الشيخ النورسي فقال من أجلاّء الرواة وثقات الأئمة الهداة عليهم السلام.(مستدرك الوسائل:٤/٩٥)

وقال فيه الشيخ علي النمازي الشاهرودي صحيح الاعتقاد، فقيه، جليل.(مستدرك علم رجال الحديث:٣١٧/٧)

وفاته

لم تحدد المصادر وفاة المفضل بن عمر الجعفي إلاّ أنّه يستفاد من تاريخ ولادته التقريبي أنّه عاش حوالي ٨٠ سنة وبهذا يكون من أعلام القرن الثاني الهجري حيث كانت ولادته في أواخر القرن الأول الهجري خلال فترة إمامة الإمام الباقر عليه السلام وعاصر ثلاثة من الأئمة الهداة عليهم السلام الإمام الصادق عليه السلام (٨٠-١٤٨ هـ)؛ والإمام الكاظم عليه السلام (١٢٨-١٨٣هـ)؛ والإمام الرضا عليه السلام (١٤٨-٢٠٣ هـ).

وعندما وصل خبر وفاته إلى الإمام الرضا عليه السلام قال: «لقد نال المفضل الروح والراحة».(رجال الكشي:١/١١١)

وفي رواية أخرى قال: «رحمه الله لقد كان الوالد بعد الوالد، إما إنّه قد استراح».(رجال الكشي:١/١١٢)

مؤلفاته

١. كتاب التوحيد

وهو كتاب لاهوتي أملاه الإمام الصادق عليه السلام على المفضل ابن عمر الجعفي وكانت شهرته بهذا الكتاب.(رجال الخوئي).

وكان سبب هذا الكتاب كما ذكره المفضل بن عمر هو ذهابه لزيارة قبر الرسول وفي أثناء جلوسه بالقرب من القبر الشريف إذ دخل عبد الكريم بن أبي العوجاء - وهو من أوائل الزنادقة والملحدين في تاريخ الإسلام كعبد الله بن المقفع، وله مناظرة مع الإمام جعفر الصادق حول إثبات وجود الله جل وعلا - فكان بصحبة رجل فاستقر حديثهم حول الرسول الأكرم على أنّه كان فيلسوفاً حيث ادعى المرتبة العظمى والمنزلة الكبرى وأتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول وضلت فيها الأحلام وغاصت الألباب على

> وعندما وصل خبر وفاة المفضل إلى الإمام الرضا عليه السلام قال: «لقد نال المفضل الروح والراحة... رحمه الله لقد كان الوالد بعد الوالد، أما إنّه قد استراح»

طلب علمها... وزعم بأنّ لا صانع لهذا العالم وتكوين العالم وما فيها من ذاتها وغير ذلك من التشكيكات في وجود الخالق، فغضب المفضل وقال: يا عدوّ الله ألحدت في دين الله فأجابوا: إن كنت من أصحاب جعفر الصادق فما هكذا تخاطبنا، فخرج محزوناً وذهب إلى الإمام جعفر الصادق: فقال له: «آتيني غداً لأكلكمك عن تكوين العالم وحكمة الباري»، فجالس الإمام أربعة مجالس.(توحيد المفضل:١٢)

ويتكون الكتاب من أربعة أجـزاء فكل جزء يشكل مجلساً من مجالسه مع الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

فالمجلس الأول، تحدث الإمـام عليه السلام فيه عن إنكار بعض الجهلة لوجود الله وجهلهم لأسباب الخلقة وحكمة خلق العالم وخلق الإنسان وأعضاء الجسم كجهاز الهضم والحواس الخمس، ويستدل بتلك على حكمة خالقها وقدرته وعلمه.

أمّا المجلس الثاني فتكلم عليه السلام به عن عجاب خلق الحيوانات.

والمجلس الـثـالـث تـحـدث عـن عجائب الكون والسماوات والأرض وتدبير الله في الفصول والأزمنة.

والمجلس الرابع تحدث فيه عن الآفات التي تصيب الناس والموت والفناء.(انظر توحيد المفضل)

٢. الإهليلجية

وهو كتاب أملاه الإمام الصادق عليه السلام أيضاً بنفسه ودفعه إلى المفضل بن عمر وكان سببه هو أنّ الفتوحات الإسلامية التي قام بها المسلمون أدّت إلى انتشار معارف الإسـلام ومعتقداته إلى العالم في مختلف الأديـان والملل وكـان على هذه الملل المختلفة البحث عن أجوبة حول الشكوك التي تعتريها إما لغرض الاستفادة بعد الإيمان بتعالم الإسلام أو لبث الشبهات حول الإسلام لتسقيطه وكان الدفاع عن الإسلام ومقدساته عمل الأئمة سلام الله عليهم في كافة مراحل إمامتهم ابتداءً من الإمام علي سيد الأوصـيـاء عليه السلام وصـولاً إلـى الإمـام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

لأنّ الذين ادعوا الرئاسة في الإسلام والحق في تسلم زمام الأمور ليس لهم القابلية على الدفاع عن الدين

لقصور عقولهم عن تحمل ما لم يكلفهم الله تعالى إذ لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها حيث عجزوا عن الإجابه لكثير من الأسئلة التي قدمت إليهم بالخصوص التي كانت في الفترة الأولى بعد رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

فبعد وصول الأخبار إلى الإمام الصادق عليه السلام من فساد عقيدة البعض قام بإملاء هذه الرسالة وتقديمها إلى المفضل بن عمر الجعفي وسمّيت بالإهليلجة.

والإهليلجة اسم لشجرة تنبت في الصين وكابل والهند، ثمرها على هيئة حب الصنوبر الكبار.(لسان العرب:٣٩٢/٢)

كون الطبيب الهندي الذي حضر عند الإمام عليه السلام كان يدق هذا الدواء للإمام إذ بدأ بكلام منافٍ للعقيدة الصحيحة فبدأ استدلال الإمام سلام الله عليه بهذه الشجرة نفسها (الإهليلجية) لإثبات وجود الخالق سبحانه وتعالى.(حديث الإهليلجة:٧٠)

٣. كتاب الوصية

وهو كتاب فيه مجموعة من الأخبار جمعها عن الإمام الصادق عليه السلام في شؤون المسلمين وحياتهم، وطلباتهم، وأحداث المستقبل، وأسرار العالم السفلي والعلوي.

٣. كتاب اليوم والليلة

وهو كتاب يذكر فيه ما رواه عن الأئمة عليهم السلام بخصوص النوافل والأدعية.

٤. كتاب علل الشرائع

وهو كتاب يشرح الأحكام الشرعية، والفوائد والمنافع المترتبة عليها.

النتيجة

يتّضح مما تقدّم نبذة في سيرة المفضل بن عمر رضوان الله عليه إخلاصه وولائه لأهل البيت عليهم السلام وأنّ الأئمة المعصومين عليهم السلام قد اعتمدوا على هذه الشخصية بالتصرف في الحقوق الشرعية فضلاً عن ائتمانه العقائد البحتة كالتوحيد والمعاد والعدل بالإضافة إلى النبوة والإمامة.

بقلم: علي جواد عباس

استبيان

يسر مجلتكم / مجلة الوارث التي تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة أنْ تدعوكم للمساهمة الجادة في الاستبيان الذي تقيمه، وذلك لغرض تقويم المجلة في مظهرها وجوهرها الحاليين ومن ثم إحداث قفزة نوعية في مضمونها وشكلها، ولن يتم ذلك إلاّ من خلال إسهامكم المهم في الاستبيان المذكور الذي نحاول عن طريق الاعتماد على نتائجه الوصول إلى أرقى ما تتطلبه المجلة في جميع الأبواب ولذلك نقدم لكم شكرنا وتقديرنا مسبقاً على إسهامكم في هذا الاستبيان.

- ما هي المواد التي تهتم بها أكثر في المجلة: ....

- ما هي طبيعة المواد التي تحب أن تطلع عليها أكثر: ....

- هل تستطيع أن تقيم مضمون مجلة الوارث: (جيد☐ / لابأس☐ / ضعيف☐)

- ما هي جوانب الضعف في المجلة:

....

- ما هي الجوانب التي تقترح أن تهتم بها المجلة أكثر:

....

- ما هي النقاط الإيجابية في المجلة:

....

- هل تعتقد أنّ حجم المجلة الحالي هو ملائم: نعم☐ / لا ☐

عن عبدالرَّحمن بن كثير مولى أبي جعفر، عن أبي عبدالله عليه السلام «قال : لو أنَّ أحدكم حجّ دَهْره ، ثمّ لم يَزُرِ الحسين بن عليٍّ عليهما السلام لكان تاركاً حقّاً مِن حقوق الله وحقوق رَسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، لأنَّ حقَّ الحسين فَرِيضة مِن اللهِ ، واجبةٌ على كلِّ مسلم» .

كامل الزيارت؛ ابن قولويه القمي، ص١٣٢

100